مناطُ الاتساقِ بينَ المعاني في حديثِ النبيِ ﷺ عن الصبر دراسةٌ في التناسب والارتباط

إعداد الدكتورة

رضا السيد عسر الدسوقي

مدرس البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة

جامعة الأزهر الشريف

مناطُ الاتساقِ بينَ المعاني في حديثِ النبي ﷺ عن الصبر دراسةٌ في التناسب والارتباط

رضا السيد عسر الدسوقي

قسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات، جامعة الأزهر، القاهرة، جمهورية مصر العربية

البريد الإلكترونيَ:RedaEldesoky2779.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يُعنى هذا البحث بحديث النبي ﷺ عن الصبر من جهة الوقوف على مناط الاتساق بين المعاني، وما يجمع بينها من علائق ورحم وقربي، وما ينظمها من روابط تسهم في الإبانة عن المعاني النبوية في هذه الأحاديث، فتتسلسل ويأخذُ بعضها بحُجْزِ بعض، وتترابط وشائجها، ويُسلمُ بعضها بعضًا، فتكون كالجملة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني. وذلك بين المعاني الجزئية والمعاني الكلية في هذا البيان العليِّ سواء على مستوى الحديث الواحد في بنائه التركيبي أو بينَ الأحاديث التي تناولت المعنى نفسه، وهذا من خلال تبصر لُحْمة التناسب والترابط بين المعاني، وأواصر الرحم والقربي التي تجمع بينها كالعموم والخصوص، والإجمال والتفصيل، والتدرج واللزوم ونحو ذلك، والروابط اللفظية التي تشير إليها وتدل عليها كالعطف والشرط والتعليل وغير ذلك، وهذا بابٌ من البلاغة وسرٌ من أسرارها.

ويهدف البحث إلى استجلاء تلك العلائق وروابطها اللفظية مبيّنًا مواطنها، ومحاولًا سبر أغوار أسرارها بما يكشف عن غيض من فيض البلاغة النبوية في هذه الأحاديث التي تتلاقى وتتكامل؛ لتبين للمؤمن عن خُلقٍ عظيم من أخلاق الإسلام الحنيف، يُعينه على حسن تطبيق منهج السماء، ويرقى به إلى مراتب الصفوة الطاهرين.

منهج البحث: يعالج البحث في حدود المنهج الوصفي؛ إذ يُعنى باستظهار العلاقات والوشائجِ بينَ أحاديث الصبر من خلالِ الوقوف على الاتساق بينَ المعاني ومواضعِ التناسب والارتباط، كما يُعنى بتتبعِ علاقات المعاني بين جملِ الحديث الواحدِ من خلال الوقوف على الروابطِ اللفظيةِ والدورِ الوظيفيِ للأساليبِ في الربطِ بينَ عطاءاتِ اللفظِ، وتداعياتِ المعنَى.

ومن نتائج هذا البحث: ظهر في البناء التركيبي للحديث النبوي عن الصبر الاتساق والارتباط بين جمل الحديث، فأبانت علاقات المعاني عن قوة الدلالة وحسن البيان، وذلك من خلال الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال، والترقي في الأسلوب وغيرها من علاقات أبانت عن البلاغة العليِّة في النظم الشريف.

الكلمات المفتاحية :مناط الاتساق –علاقات المعاني– حديث النبي (ﷺ) عن الصبر– التناسب – الارتباط.

The Basis of Consistency between Meanings in the Prophet's Hadiths about Patience: A Study of Proportionality and Coherence

Reda El-Sayed Assar El-Desoky.

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Female Students, Al-Azhar University, Cairo, Egypt

Email: RedaEldesoky2779.el@ azhar.edu.eg

Abstract:

This research aims to clarify the relationships and elements of coherence that link the meanings in the Prophetic hadiths about patience. It aims to reveal the secrets of the Prophetic eloquence that explains to the believer a great quality of the morals of true Islam, which helps the believer to properly implement the method of heaven and raises him to the ranks of the pure elite. As for the research methodology, it applies the descriptive method. It is concerned with highlighting the relationships and elements of coherence between the hadiths about patience by examining the consistency between the meanings and positions of coherence. It is also concerned with tracing these elements between the sentences of a single hadith by examining the verbal connectors and the functional role of the style. Among the results of this research is that the sentences of the Prophet's hadith about patience are syntactically and semantically consistent and coherent. The meanings are expressed in eloquent structures by using such rhetorical tools as clarification after ambiguity, giving details after

succinctness, and gradual elevation of the style, which reveal the fine rhetoric of the honorable Prophetic hadiths.

Keywords: consistency - relationships of meanings – Prophet's hadiths - about patience - proportionality – coherence

مقدمة

الحمدُ لله الذي خلقَ الإنسانَ وعلمَه البيانَ، وأنزلَ الفرقانَ، واصطفىَ لدعوتهِ النبيَّ العدنانَ، وذكَّاه بالحجةِ والبرهان، وأوحى إليه بيانًا من مشكاة القرآنِ، تفصيلًا وتبيانًا ورحمةَ للعالمين، وصلْ اللَّهُمَّ على خَاتمِ أنبيائكِ ورسلكِ محمد ﷺ وعلى آل بيتهِ وصحابتهِ وأتباعهِ إلى يومِ الدين بإحسان.

أما بعد

فإن البلاغةَ النبويةَ هي ذروةٌ الفصاحةِ البشريةِ، أبهرتْ العقولَ وأعيتْ الفصحاءَ والبلغاءَ بتفردِها بخصائصَ وسماتٍ عن بيانِ باقي البشرِ، فبيانُ النبي ﷺ وحيٌ من الله عزوجل، و"ما السنة النبوية من القرآن الكريم إلا تبيانٌ لما هو مكنونٌ من لطائفه ودقائقه"(١)، فبلاغةُ الرسولِ"من صُنعِ الله، وماكانَ من صُنعِ الله تَضيق موازينُ الإنسانِ عن وزنه، وتَقتصرُ مقاييسُه عن مقياسِه، فنحن لا ندرك كنهه، وإنما ندركُ أثرَه.. إن البلاغةَ النبويةَ هي المثلُ الأعلى للبلاغةِ العربيةِ، وإذا كانَ كلامُ الله هو كتابُ البيانِ المعجزِ، فإن كلامَ الرسولِ سنةُ هذا البيان، وإذا كانَ البلاغُ صفةَ كلّ رسولٍ، فإن البلاغة َصفةُ محمد وحده"(٢).

حققتْ السنة ُالنبويةُ أعلىَ مستويات التواصل اللغوي؛ لأن الأثرَ الذي يكتسبُه المتلقي هو مقصدُ الخطابِ النبويِّ سواء من ناحية التأثرِ ببلاغةِ النص، أو السيطرةِ والتحكمِ في الفعلِ أوالتأثيرِ في السلوكِ، وبذلك يحققُ البيانُ النبويُّ مقاييسَ نجاح الخطابِ الفعالِ البناءِ، مِنْ حيثُ صدقُ المضمونِ والتواصل

(١) ينظر سبل استنباط المعاني من الكتاب والسنة دراسة منهجية تأويلية ناقدة، الدكتور: محمود توفيق محمد سعد، ط، مكتبة وهبة، القاهرة ، ١٤٤٢هـ-٢٠٢١، ص١٣.

(٢) ينظر وحي الرسالة، أحمد حسن الزيات، ط دار الثقافة،٣/١٠٥.

الناجح، وتوفير ما يُعينُ على حسنِ التلقي عند المخاطب؛ وذلك لتنوع أسلوب الخطاب بما يستوعبُ مستوياتِ التلقي لدي المخاطبين؛ حيث يتسعُ للبسطِ والقصرِ، والبعد عن التكلفِ، والخلو من العيوبِ المؤثرةِ على حسن الأداء، وتلك المعايير هي ما أوضحهَا الجاحظُ في حديثِه عن بيانِ النبوةِ قائلا: "هو الكلامُ الذي قلَّ عددُ حروفه وكثُّرَ عددُ معانيه، وجلَّ عن الصنعةِ، ونزّه عن التكلفِ، وكانَ كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: (وَما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ)... واستعملَ المبسوطَ في موضعِ البسطِ، والمقصورَ في موضعِ القصرِ، وهجرَ الغريبَ الوحشي، ورغِبَ عن الهجينِ السوقي، فلم ينطقْ إلا عن ميراثِ حكمة، ولم يتكلمْ إلا بكلامٍ قد حُفَّ بالعصمةِ، وشُيِّدَ بالتأييدِ، ويُسِّرَ بالتوفيق. وهو الكلامُ الذي ألقىَ الله عليه المحبةَ، وغشَّاه بالقبولِ وجمعَ له بينَ المهابةِ والحلاوةِ، وبينَ حُسن الإفهامِ، وقلةِ عدد الكلام"(١).

وقد تضافرتْ جهودُ الأئمةِ والباحثين قديمًا وحديثًاعلى البحثِ في الأحاديث النبويةِ، فقامَ الأئمةُ يستنبطون ويستظهرون منها أصولًا وأسسًا يقومُ عليها الدينُ، وكانَ للدراساتِ البلاغيةِ عظيمُ الأثرِ في فقه السنةِ وحسنِ تدبرها، وإبانةِ المراد منها، والوقوفِ على الآدابِ جملة وتفصيلا، والتحلي بجميل صفات المصطفىﷺ في جميع مقاصد الخطاب النبوي البناء.

ويسكنُ في تلك البلاغة العليِّة ما يحقّ للدرس البلاغي الوقوفُ عليه، وهو سرٌ من أسرار الجمالِ فيها، ومظهرٌ من مظاهر جوامع الكلم، ذاك الاتساقُ والتناسبُ والتآلفُ والتكاملُ بين المعاني، وهو يقومُ على إدراك العلائق والصلاتِ بما يظهرُ لُحمةَ التناسبِ ووشائجَ الصلةِ بين جملِ الحديثِ الشريفِ، وهذا بابٌ جليلٌ في البيانِ، ولؤلؤةٌ من لآلىء البلاغةِ، لفت الإمامُ عبدالقاهر

(١) ينظر البيان والتبيين، المؤلف: عمرو بن بحر أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ، ١٣/٣.

الجرجاني الأنظارَ إليه فقال:"فإن المعانيَ الشريفةَ اللطيفةَ لا بُدّ فيها من بناءٍ ثانٍ على أوّل، وردٍّ تالٍ على سابق"(١). وتَبَصُّرُ تلك العلائقُ إنما يكون بحسنِ النظرِ والتدبرِ للمفردات والجملِ والتراكيب في النظمِ العليِّ، وتتبعِ معانيه الجزئيةِ باعتباره وحدةً كليةً تتناولُ معنًى شريفًا.

ومن ثم كانَ عنوانُ البحثِ: مناطُ الاتساق بينَ المعاني في حديثِ النبي ﷺ عن الصبرِ دراسةٌ في التناسبِ والارتباطِ.

ومرادي من الاتساق بين المعاني هو العلاقاتُ والوشائجُ ومواضعُ التناسبِ والارتباطِ التي تؤلفُ بينَ المعاني، فتتناسبُ وتتقاربُ، ويكون بعضها بسببٍ وصلةٍ من بعض، فيجلو للمتلقي المعنَى وتفصيلُه، والمعنى وتابعُه، والمعنى ولازمُه ومفسره، وغير ذلك من صلاتِ الرحمِ بينَ المعاني، وكلما اشتدت الصلةُ بينَ المعاني قويت الدلالةُ واستحكمت، وحسنت الإبانةُ عنها.

ومواطنُ الاتساق بينَ المعاني في الأحاديث الشريفةِ التي تناولتْ معنَى الصبر عديدةٌ ومتنوعةٌ كالسببيةِ واللزوميةِ والتتابعِ والتدرجِ والعمومِ والخصوصِ والإبهامِ والبيانِ ونحو ذلك بما يكشفُ حجبَ المعنى المقصود، وآثرَ البحثُ أحاديثَ الصبرِ؛ لأنها تتضمنُ فضيلةً من فضائل المؤمنين الصادقين يجب التمسكُ بها، فالصبرُ من أخلاق المؤمنِ يعينه على حسن التلقي عن الحق سبحانه وتعالى، فضلًا عما يمتازُ به ذلك الخلقُ من عظيمِ الأجرِ والثوابِ، والاقترانِ بالقيمِ الروحيةِ العليا في الإسلام، وعد الحقُ سبحانه وتعالى عبادَه الصابرين بعظيمِ المثوبةِ فقال عزَّ من قائل: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

(١) أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ١٤٤.

وفكرةُ البحث تقومُ على استظهارِ علاقات المعاني بينَ الجملِ في حديثِ النبيﷺ عن الصبر، واستظهارِ العلاقات بين الأحاديث التي تناولت المعنَى نفسه، متخذًا من الروابطِ اللفظيةِ بينَ الجملِ، والروابطِ بين المعاني سبيلًا في كشفِ مناطِ الاتساق ومواضعِ التآلفِ والانسجامِ حيال عرضه ﷺ لمعنى الصبر بما يبينُ عن علو البلاغةِ النبويةِ، ويكشفُ عن ترابط المعاني وتسلسلها في سلسلةٍ منتظمةٍ تبينُ عن دورِ السنةِ المؤثرِ، الذي يعينُ المرءَ على حسنِ الوقوفِ على مواطنِ الفعلِ والتركِ في منهج السماء، ويرشده إلى منهجِ التطبيق الفعلي لأوامرِ الحق سبحانه وتعالى الموصل لتقوى الله، والميسر لسبلِ النجاةِ، وهو بدوره يدحضُ فريةَ المفترين على السنةِ النبويةِ والمدَّعين الاحتجاجَ بالقرآنِ مصدرًا منفردا في الإيمان والتشريع. فالسنةُ بيانٌ للقرآن وهي المصدرُ الثاني للأخذِ والتشريعِ في ديننا الحنيف.

وعلى هذا التصورِ الذي انشغلَ به البحثُ فإنه يسعى إلى تحقيق جملةٍ من المقاصدِ أهمها:

- استظهارُ مناطِ الاتساق ولحمةِ النسبِ والارتباطِ بين الأحاديث المتناولة معنى الصبر.
- الوقوفُ على علو البلاغةِ النبويةِ ودقائق النظمِ وبديعِ اللفظِ، بما يبينُ عن الوسائلِ الإقناعيةِ التأثيريةِ التي تدعُمُ وتعضدُ ضرورةَ التحلي بالصبر.
- استجلاءُ وجهٍ من وجوهِ جوامعِ الكلمِ في البلاغةِ النبويةِ الشريفةِ.

وتنطلقُ مشكلةُ البحثِ من محاولةِ الوقوف على مناطِ الاتساق وروابطِ الصلةِ بينَ جملِ الحديثِ الواردةِ في معنى الصبر، وبينَ الأحاديثِ في المعنى نفسه، ومن ثمَّ يحاولُ البحثُ الإجابةَ عن بعضِ التساؤلاتِ التي نبتت مع فكرته منها:

– ماهي الصلات والوشائج التي ربطتْ بينَ أحاديث الصبر؟

- ماهي وسائل الترابط بينَ جملِ الحديث الواحد؟
- أكان للروابطِ اللفظيةِ أثرٌ في إدراك مناط الاتساق بينَ جملِ الحديث؟
- هل كانت هناك وسائل إبانة هادية تسهمُ في الكشف عن مناط الاتساق بين المعاني؟

والحق أن الدراساتِ البلاغيةَ تنظيرًا وتطبيقًا المعنيةَ بالاتساق والترابطِ بين المعاني في البيانِ النبويِّ لم تكن بوفرةٍ مثلما هو حاصلٌ في الدراساتِ الخاصةِ بالتناسبِ والارتباطِ في القرآن الكريم، فما اطلعت عليه في هذا الباب يبينُ عن حاجةِ الدرسِ البلاغي إلى ما يظهرُ الصلاتِ والترابطَ بينَ المعاني في البيانِ النبويِّ الشريفِ، ويكشفُ عن فروع هذا العلم، ويوثقُ الصلةَ بينَ ما سطره العلماءُ في البيانِ المعجز وبيانِ النبوة.

وما كتب من الدراساتِ السابقةِ فيما له صلة بموضوعِ البحث فما استطعت الوقوفَ عليه يبعدُ كلَّ البعدِ عن فكرةِ البحث ومنهجِه وطريقةِ المعالجةِ، ومن أبرزها ما يلي:

- البلاغةُ النبويةُ في أحاديث الصبرِ من خلال صحيح البخاري، الباحثة ألفت محمد عبدالهادي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة، جامعة الأزهر الشريف،٢٠٠٤م.

والدراسةُ تقومُ على التحليلِ البلاغيِ في نماذجَ مختارةٍ من أحاديث البخاري، وهي تختلفُ عن بحثي من حيث المنهجُ والفكرةُ وطريقةُ المعالجةِ والغاية، فضلًا عن اقتصارها على أحاديث البخاري.

- من بلاغةِ النبيِّ في حديثه عن الصبرِ، إعدادُ الباحثين د. وليد السيد مصطفى فرج، د. سحر منصور السيد صباح، المجلة العلمية لكلية اللغة العربية بإيتاي البارود، العدد السادس والثلاثون، مايو ٢٠٢٣م.

والبحثُ يقومُ على تحليلِ بعض أحاديث الصبر دراسة بلاغية تحليلية تبينُ عن توظيف فنون البلاغة في بيانِ معنى الأحاديث الشريفة. والبحثُ يختلفُ مع بحثي من حيث مناطُ النظرِ وفكرة البحث ومشكلته وطريقة المعالجة والخطة والغاية والنتائج المتوصل إليها.

وجلُّ ما يخصُ شأن الاتساق النصي مما اطلعت عليه دراسات لسانية تختلفُ في طريقة المعالجة والمنهج؛ حيث تُعنى بوسائل الاتساق النصي والإحالةِ النصية، وأشكالِ الإحالة اللفظية، والاتساقِ المعجمي، والانسجامِ النصي، والبنيةِ النصيةِ التداولية، والحذف والاستبدال والتضام.

ومن هنا يتضحُ اختلافُ البحثِ محل الدراسة عن تلك الدراساتِ السابقةِ، بيد أني قد أفدت منها وآنست بها.

منهج البحث: يُعالجُ البحثَ في حدودِ المنهجِ الوصفي؛ إذ يُعنى باستظهارِ العلاقاتِ والوشائجِ بينَ أحاديثِ الصبر من خلالِ الوقوف على الاتساق بينَ المعاني ومواضعِ التناسبِ والارتباطِ، كما يُعنى بتتبعِ علاقاتِ المعاني بين جملِ الحديثِ الواحدِ من خلال الوقوفِ على الروابطِ اللفظيةِ والدورِ الوظيفيِ للأساليبِ في الربطِ بينَ عطاءاتِ اللفظِ، وتداعياتِ المعنَى، وذلك لبيانِ ما تفيضُ به أحاديثُ الصبرِ من الاتساقِ والتكاملِ والتلاقي والارتباطِ. وسيكتفي البحثُ ببعضِ الأحاديثِ النبويةِ الشريفةِ عن الصبر أنموذجا يُبينُ عن الترابطِ والتناسبِ بين المعاني في النظمِ النبويِّ.

خطة البحث: وتأسيسًا على ما تقدم معالجته، وحتى يؤتي البحث ثماره، فقد استقامَ البحثُ في

مقدمةٍ تناولت فيها أهميةَ الموضوعِ وغاياتِه ومشكلتَه والدراساتِ السابقةَ ومنهجَه وخطَّتَه

ثم تمهيدٍ وفيه بيان تحرير القول في الاتساق والترابط بين المعاني.

ثم مبحثين: المبحثُ الأولُ: علاقةُ التدرجِ والتتابعِ بين المعاني.

المبحثُ الثاني: علاقةُ اللزومِ بين المعاني.

ثم خاتمةٍ ثم ثبتِ المصادرِ والمراجعِ وفهرسٍ للموضوعات.

وأخيرًا، فإني أسألُ اللهَ العليَّ القديرَ أنْ يعينَنِي على إتمامِ هذا البحثِ، وأنْ يجعلَهُ خالصًا لوجههِ الكريمِ، وأن يكون بلاغًا حسنًاعن بيان رسول الله (ﷺ)، إنه وليٌّ ذلك والقادرُ عليهِ.

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾سورة هود، من الآية ٨٨

تمهيد

تحرير القول في الاتساق والترابط بين المعاني

الاتساق في أصل معناه اللغوي يدور حول معنى الجمع والحمل والضم والانتظام؛"والوَسْق: ضم الشيء إلى الشيء، والاتساق: الانتظام"(١)، أما مصطلح الاتساق في علم البلاغة العربية فلم استطع الوقوفَ على مصطلح بلاغي مقنن جامع ومانع، بيد أن الاتساق وتقيده بين المعاني جاء عند كثير من العلماء، جاء صريحًا عند الإمام أبو بكر بن العربي في كتابه سراج المريدين في سبيل الدين حيال عرضه لعلم التناسب في القرآن الكريم قائلا: "إنَّ ارتباط آيِ القرآن بعضها ببعض حتَّى تكون كالكلمة الواحدة **مُتَّسقة المعاني** منتظمة البيان عِلْمٌ عظيم"(٢)، فالاتساق في بيان الإمام ابن العربي هو ما يسكن بين المعاني من صلات وقربى ووشائج تبين عن التناسب والارتباط بينها، وهو قائمٌ على ضم المعنى إلى المعنى الذي يتصل به بسبب وصلة، وهو بين المعاني خاصة.

ونص الإمام أبوبكر بن العربي أيده ونقله الإمام السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن(٣)، والإمام الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن؛ حيث

---

(١) لسان العرب، مادة (و، س، ق).

(٢) سراج المريدين فى سبيل الدين، الاستنارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات الدينية والدنيوية بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية وهو القسم الرابع من علوم القرآن في التذكير، إملاء: أبو بكر محمد بن العربي المعافري الإشبيلي (ت ٥٤٣هـ)، ضبط نصه وخرج أحاديثه ووثق نقوله: الدكتور عبدالله التوراتي، دار التحديث الكتانية (طنجة – المغرب، بيروت– لبنان)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧ م، ١٤٤/٤.

(٣) يراجع الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، المحقق:محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ– ١٩٧٤م، ٣٦٩/٣.

أرجع التناسب في المعنى بين الآيات إلى رابط وصلة يربط بين المعاني(١)، وصرح بمعيارية الاتساق بين المعاني في الترابط والتناسب وإلحاق المتصل بما يتصل به الإمامُ الطبري، **وذلك في تفسيره الجليل حيال عرضه لقوله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾** (النساء: ٦٥) قائلا: " كان إلحاق معنى بعض ذلك ببعضٍ أولى، ما دام الكلام متسقة معانيه على سياق واحد"(٢). فعبارة الطبري كشفت عن أن الاتساق بينَ المعاني هو ما أوجب إلحاق سبب نزول الآية واتصالها بما قبلها، فالاتساق بين المعاني يعنى الترابط والصلة والتناسب.

ونجد إيضًا الاتساق بين المعاني في عبارة الإمام حمزة بن يحي العلوي قائلا:" أن من حق الجمل إذا ترادفت وتكرر بعضها فى إثر بعض فلابد فيها من ربط الواو لتكون متسقة منتظمة، كما أن الجمل إذا وقعت موقع الصلة، أو الصفة، فلا بد لها من ضمير رابط يعود منها إلى صاحبها،... اللهم إلا أن تكون الجملتان بينهما امتزاج معنوى، وتكون الثانية موضحة للأولى مبينة لها كأنهما أفرغا فى قالب واحد"(٣)

ويفهم من النص أن مقصد وجود الواو بين الجمل المترادفة هو تحقيق الاتساق وإظهار الرابط وموضع الاتصال بين الجمل؛ لذلك لما اتصلت الجملتان

---

(١) يراجع البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ -١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاؤه،١/٣٥-٣٦.

(٢) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، تحقيق:محمود محمد شاكر، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ٨/٥٢٥.

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلويّ الملقب بالمؤيد باللَّه (ت ٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، ٢/٢٦.

اتصالًا من نوع خاص يصعب معه فصل المتصلات، وهو المعبر عنه بلفظ (امتزاج) استغنيا عن الرابط اللفظي؛ لوجود قوة الاتصال الروحي بين المعاني، وهذا يعني أن الامتزاج أقوى من الاتساق، ويستنبط من عبارة الإمام العلوي أن الامتزاج والاتساق خاصٌ بالمعاني، فإذا ما كانت متسقة جيء بالواو، أما إذا امتزجت المعاني وانجذب الثاني للأول انجذابًا يصعب معه الفصل بينهما لشدة التلاحم والترابط حذفت الواو.

ومما سبق يتبين أن الاتساق إنما يكون بين المعاني وهو يُعنى بالترابط والصلة والعلائق والتناسب بين المعاني، وقبلة النظر في علاقات المعاني والارتباط بينها هو ما رقمه الإمامُ في مقصده من سفره أسرار البلاغة :" اعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته، والأساس الذي وضعته، أن أتوصّل إلى بيان أمر المعاني كيف تختلف وتتفق، ومن أين تجتمع وتفترق، وأفصّل أجناسها وأنْواعها، وأتتبّع خاصّها ومُشَاعَها، وأبين أحوالها في كرم مَنْصبها من العقل، وتمكُّنَها في نِصَابه، وقُرْب رَحِمِها منه، أو بُعدها حين تُنسب عنه"(١)؛ فقد أبان أن للمعاني أرواحًا تتقارب وتتناسل ويكون بينها صلات رحم، منها ما يكون من عائلة واحدة، ومنها ما يتباعد، فمنها المتصل اتصال النسب والقرابة، ومنها المدعي المتطفل الذي يجفوه من حوله، ولا يغضبون له إذا أهين، أو يدافعون عنه.

وهذه الصلات وتلك العلائق تنظر أيضا إلى ما رمى إليه الإمام عبدالقاهر في نظرية النظم وإن كان بينهما ثمَّة اختلاف؛ فالتناسب "يحيط بالنص كله على تباعد جمله واختلاف أغراضه؛ لأنه تتبع للمعاني وجهات انتساب بعضها إلى بعض وأحوالها في بعض، فتتقارب وتتعانق على تباعدها، والنظم هو التعليق

(١) أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة،٢٦.

بتوخي معاني النحو- كما ذكر الإمام عبدالقاهر الجرجاني- وهو صفة محدودة تحفظ التماسكَ وتحكم النسجَ بين الجملة والجملتين أو ما تقارب دون ما اختلف وتباعد"(١).

وهذا الاتصال والترابط والعلائق بين المعاني، وما يبين عنه من روابط لفظية هادية لمواطن الاتساق هو مقصد البحث، وهو يتلاقى مع مصطلح الاتساق النصي من جهة ويفترق من جهة، فمصطلح الاتساق عند علماء النص ولسانياته هو:"التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص أو خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"(٢)، وهو أيضا ربط وتماسك بين العناصر المكونة للنص سواء من خلال العناصر اللغوية التي تحقق نصية النص أو الدلالة المحققة للوحدة الكلية للنص، فهو"وحدة لغوية مهيكلة، تجمع بين عناصرها علاقاتٍ وروابط معينة"(٣).

وخصَّ بروان ويول الاتساق بالوحدة المعنوية، "إن قوة الربط تكمن حقيقة في العلاقة المعنوية المضمنة.... ولن يختلف اثنان في ضرورة وجود مثل هذه العلاقات المعنوية داخل الخطاب؛ لكي يتيسر فهمه فهمًا منطقيًا"(٤)

---

(١) التناسب في تفسير الرازي، دراسة في أسرار الاقتران، رسالة دكتوراة، إعداد: د/ منال مبطي حامد المسعودي، إشراف أ.د/ محمد محمد أبو موسى، جامعة أم القرى، ١٤٣١هـ -٢٠١٠م،٧١.

(٢) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي الغربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١،١٩٩١م،٥.

(٣) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية ناشرون،٨٠.

(٤) تحليل الخطاب، بروان ، يول، ترجمة وتعليق د. محمد لطفي الزليطني، د.منير التريكي، جامعة الملك سعود.

ومناط الاتفاق بين مقصدي في البحث الذي قام على ما استنبط مما رقمه علماؤنا الأوائل، وما سطره علماء لسانيات النص هو علاقات المعاني والوشائج والصلات بينها، ومناط الاختلاف هو أن الاتساق في علم النص ينظر في ثلاث مجالات: اتساق نحوي، اتساق معجمي، اتساق صوتي، وأدوات الاتساق كثيرة أهمها: الإحالة والاستبدال، الوصل، الاتساق المعجمي، التكرار(١)، والبحث ينظر في علائق المعاني فحسب بين جمل الحديث النبوي عن الصبر، وبين الأحاديث التى تتناول المعنى نفسه.

والبيانُ العليُّ في الحديث الشريف بيانٌ للهدي القرآني يظهر فيه التناسب والترابط والاتساق بين المعاني، فهي تتكامل وتتلاقى ويجمعها قِران واحد، يدل فيه الثاني على الأول، ويصل فيه الأول بالثاني، وينظر فيه اللاحق السابق فنبصر حديثًا أمًّا تتناسل منه المعاني، أو جذرًا تتفرع عنه أغضانٌ تنبئ عن شجرة المعنى في صورة بهية مكتملة تستولى على هوى النفس وإذعان العقل.

وثمرة علاقات المعاني تظهر في إحكام الدلالة؛ فهي تجعل أجزاء الكلام بعضه آخذًا بأعناق بعض، فيقوى إحكام بناء النظم وتتلاءم أجزائه، ويجعل معاني الأحاديث تتعالق وتتعانق في بناء محكم أوتي جوامع الكلم. وقد أشار إلى ذلك الإمام الزركشي في حديثه عن علم التناسب في القرآن الكريم؛ حيث أرجع التناسب بين المعانى إلى"معنى مَا رَابَطَ بَيْنَهُمَا عَامٌّ أَوْ خَاصٌّ عَقْلِيٌّ أَوْ حِسِّيٌّ أَوْ خَيَالِيٌّ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كَالسَّبَبِ وَالْمُسَبَّبِ وَالْعِلَّةِ وَالْمَعْلُولِ وَالنَّظِيرَيْنِ وَالضِّدَّيْنِ وَنَحْوِهِ أَوِ التَّلَازُمِ الْخَارِجِيِّ كَالْمُرَتَّبِ عَلَى تَرْتِيبِ الْوُجُودِ الْوَاقِعِ فِي بَابِ الْخَبَرِ" (٢).

---

(١) يراجع نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، الدكتور أحمد عفيفي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١، ١٠٥. ويراجع كتاب تحليل الخطاب، ٢٢٨وما بعدها، ويراجع مدخل إلى لسانيات النص، ١٧٩وما بعدها.

(٢) يراجع البرهان في علوم القرآن ٣٥/١.

والمفهوم من عبارة الإمام الزركشي تنوع وتعدد علاقات المعاني في النظم الكريم، ولما كانت السنة النبوية بياناً للقرآن الكريم ظهر في النظم الشريف أيضا تنوع وتعدد في علاقات المعاني بين جمل الحديث الشريف، وبين الأحاديث الشريفة في المعنى الواحد، كالسببية واللزومية والعموم والخصوص والإبهام والبيان والتدرج والتسلسل والترقي والتدلي، وغيرها من علاقات تؤلف بين مكونات النظم، وتسهم في كشف حجب المعنى.

ومناط الاتساق والارتباط بين المعاني قد يكون ظاهرًا في البناء التركيبي لجمل الحديث الشريف وهو ما تدل عليه الروابط اللفظية كالعطف والتعليل والشرط والضمير وغير ذلك، وقد يكون خفيًا تدل عليه علاقات المعاني بين الجمل في الحديث النبوي الواحد أو بين الأحاديث التي تناولت المعنى نفسه، فتتكامل وتتلاقى المعاني بما يعطي للمتلقي صورة كاملة للمعنى المقصود ويقنعه بحسن بيان.

المبحث الأول

علاقة التدرج والتتابع في عرض المعانى

يعد التدرج والتتابع في عرض المعانى نمطًا من الفصاحة وبابًا من البلاغة وسمة أسلوبيةً عاليةً؛ ذاك أنه يجعل الكلام مترابطًا متلاحمًا متلائمًا، تقوم فيه الجملة على ما قبلها، وتأخذ بحجزتها وتتعلق بها، فيكون الكلام كالبناء الواحد يصل فيه الأول بالثاني، وينظر فيه اللاحق السابق، ويُسْلِمُ بعضه بعضًا.

والتدرج في اللغة هو: "تدَرَّجَ. ودَرَّجَ إِليه: تقدَّم شيئا فشيئا، وتدَرَّجَ فيه: تَصَعَّدَ دَرَجة دَرَجة"[١] والتدرج والتتابع في عرض المعاني يأتي في اعتبارات كثيرة ومتنوعة يكشفها السياق الذي وردت فيه كالإجمال والتفصيل، والعموم والخصوص، والسببية، والشرط والترقي والتدلي في عرض المعنى والتقسيم، وغير ذلك مما شأنه النظر في مراتب إبانة المعاني، واتصال بعضها ببعض بما يتعانق فيه النظم، فيتمكن المعنى في النفس.

والتدرج والتسلسل والتتابع في عرض المعاني يكسب الكلام قوة حجاجية تعين على التأثير والإقناع؛ فالتتابع" ذو طاقة حجاجية هامة، تحقق للخطاب التطور المطرد، والتناغم البين"[٢].

والبيانُ العليُّ الشريف يظهر فيه التدرج والتتابع في عرض المعاني بما يبين عن التآلف والتواصل والتقارب بين المعاني، ويظهر العناية بها، فهي إخوة من أبٍ وأمٍ لا تجد النفس فجوة في الانتقال بينها، ولا تشعر بانقطاع نغم، بل يظهر هذا التتابع في صورة هي أتم وأبين.

---

(١) المعجم الوسيط مادة (د، ر، ج).

(٢) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، إعداد الدكتورة: سامية الدريدي،عالم الكتب الحديثة، إربد–الأردن، ط١٤٣٢/٢هـ–٢٠١١م،٣٢١.

ويندرج تحت تلك العلاقة مجموعة من الأحاديث الشريفة التى تناولت معنى الصبر، وهي:

- ما روي إِنَّ نَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ:"مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ"(١).
- قال رسول الله ﷺ:" عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"(٢).
- قَال رسول الله ﷺ: "ما يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلا وَصَبٍ، وَلا هَمٍّ، وَلا حَزَنٍ، وَلا أذىً، ولا غَمٍّ- حَتّى الشوكَةُ يُشَاكُهَا - إِلّا كَفّرَ الله بِهَا مِنْ خَطايَاهُ"(٣).
- ما روي أن رسول الله ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ، أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ. فَقَال: "مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ، أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ، تُزَفْزِفِينَ؟ " قَالتِ: الْحُمَّى. لا بَارَكَ اللهُ فِيهَا.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، ينظر صحيح مسلم شرح الإمام النووي، مؤسسة قرطبة، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ٢١٥٢.(ح:١٠٥٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد والرقائق، باب أمر المؤمن كله خير، (ح:٢٩٩٩).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ينظر فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني،كتابه ورقم أحاديثه: محمد فؤادعبدالباقي، المكتبة السلفية، ١٠/١٠٣، (ح:٥٦٤١-٥٦٤٢).

فَقَال: "لا تَسُبِّي الْحُمَّى. فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ. كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ"(١)

- قَال رسول الله ﷺ: "مَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتّى يَلْقَى اللّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ"(٢)

- قَال رسول الله ﷺ: "إنّ عِظَم الجزاءِ مع عِظَم البلاء، وإنّ الله تعالى إذا أحبّ قومًا ابْتلاهُم، فَمَن رَضيَ فله الرِّضى، ومن سَخِطَ فله السَّخَطُ"(٣).

التدرج والتتابع بين الأحاديث:

ومبنى الحديث الأول على بيان فضل عطاء الصبر والوسائل المعينة للمسلم على حسن التلقي لأقدار الحق سبحانه وتعالى، فقوله: (وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ) هي ملاك المعنى وجذره، وهي أصل تفرع عنه غصون، فمن أُعطي عطاءَ الصبر فقد منح خيرًا وأوسعَ عطاءً يتقوي به أمام الصعاب، وتلك الجملة المؤسسة للحديث والمؤصلة للقاعدة الأم في النظم العليِّ خرج من نسلها ونسج من خيوطها مجموعة من الأحاديث، تعود إليها وتتصل بها بسبب ونسب، فهي بمكانة الأصل، وما جاء عنها متفرعًاعليها متدرجًا في بيانها، وعلى هذا الاعتبار يكون التدرج من الأصل إلى الفرع.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، (ح:٢٥٧٥).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، وذكر في تخريجه(هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)، ينظر سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)،ت حقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر،ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م، ٦٠٢/٤، (ح:٢٣٩٩).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، وذكر في تخريجه: (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ)، ٦٠١/٤،(ح:٢٣٩٦).

وخيرية الصبر وسعة عطائه في جملة الحديث أتت مجملة، اقتضى البيان الشريف تفصيل تلك الخيرية والسعة فكان حديث (عجبا لأمر المؤمن)، وقوامه خيرية أمر المؤمن في جميع أحواله، فسار التدرج من الإجمال المطبق في الحديث الأول إلى التفصيل ببيان وجه من وجوه سعة الصبر، فهو يتسع ليشمل الضراء التي قد تنزل بالمؤمن، وذلك من خلال تعانق أسلوب التقسيم للتدرج والتتابع في عرض المعنى، فانتقل من الإجمال إلى التفصيل، وهو من العلاقات الوطيدة بين المعاني؛ لأن ذكر الشيء مجملا ثم بيانه مفصلا يدعو إلى تقرير المعنى وتمكينه في النفوس؛ للتشويق إلى معرفته(١).

وسارت الأحاديث على هذا النهج من التسلسل والتتابع؛ فإنه لما فصَّل النظم العليُّ وجهًا من وجوه سعة الصبر فهو يتسع للضراء، أبان عن وجوه الضراء التي قد تصيب المسلم، فجاء حديث(ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب)، حيث فصَّل الضراء بالآلام الجسدية والنفسية والقلبية التي تنزل بالمؤمن فيكون جزاء الصبر عليها تكفير الخطايا، فسار التدرج من الإجمال في الضراء المعتبر في قوله (إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) إلى التفصيل في الآلام الجسدية والنفسية؛ ذاك أنها مظهر من مظاهر الضراء التي تعرض للمؤمن وتعيق حركته في الحياة؛ لذا كان ثوابها تكفير السيئات؛لأنها لما كانت تعيق حركة المسلم في الحياة، وتمنعه عن العمل الموصل إلى الجزاء والثواب كان فضل الرب الرحيم بعباده الصابرين الراضين بحكمته في أقداره عليهم تكفير الخطايا، وهذا يلزم عنه الأجر والثواب جزاء الصبر المنصوص عليه في حديث (إن أصابته ضراء **صبر فكان خيرا له**).

---

(١) يراجع الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل – بيروت، ط٣، ١٩٦/٣.

ثم تدرج البيان النبوي من عموم الوصب إلى الخصوص في الحمى في حديث أم مالك السايب أو السائب، ومن عموم الخير في الصبر المنصوص عليه في الحديث الأم إلى الخصوص في إذهاب الخطايا في حديث أم مالك السايب أو السائب، فوقع التدرج من عموم الضراء إلى خصوص الوصب، ثم من عموم الوصب إلى خصوص الحمى، وبذلك تتابع المعاني وتتدرج في تسلسل منتظم يربط المعاني بعضها ببعض، ويجعل بعضها يأخذ برقاب بعض في دقة وتناسب بديع.

ويتجلى التدرج بين المعاني من خلال حديث (مايزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله) والذي يبين عن عظم مكانة الصبر على البلاء–؛ حيث يرتبط بالحديث الأم من مسلك الخاص بعد العام؛ فسعة الصبر عامة يدخل فيها الابتلاء في النفس والولد والمال، وخيرية عطائه عامة يدخل فيها ثواب الصبر على هذا الابتلاء بلقاء المؤمن ربه وليس عليه خطيئة، كذلك تظهر تلك العلاقة بشكل واضح بين هذا الحديث وحديث (عجبا لأمر المؤمن)، فالضراء عامة تتضمن أصناف الابتلاء التي استوعب الحديث أقسامها؛ حيث الابتلاء في النفس والولد والمال، والجزاء بخيرية الصبر على الضراء عام يتضمن لقاء المؤمن ربه وقد محيت خطاياه، وهذا تدرج وتتابع في عرض المعنى يتكامل من خلاله بيان المقصود من الصبر.

وقد يرتكز التدرج بين الأحاديث على مسلك الترقي في بيان وتفصيل سعة وخيرية عطاء الصبر في الحديث الأم (وما أُعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر) والمقصود بالترقي هنا التصعد درجة رجة في إبانة المعني المقصود؛ حيث أجمل المعنى في الحديث الأم ثُمَّ ارتقى فأبان عن وجه من وجوه تلك السعة وهي الضراء، فالصبر يتسع عطاؤه وخيريته ليشملا الضراء التي تصيب المؤمن، فيكون جزاء الصبر عليها الخير، ثم ترقى من إجمال الضراء إلى

التفصيل في الآلام والعلل الجسدية والنفسية مفصلًا الضراء وجزاء الصبر عليها؛ حيث انتقل من عموم الخير إلى تكفير الخطايا وما يلزم عنه من رفع الدرجات والرقي في مراقي الصالحين، ثُم خص من الأمراض البدنية الحمى مبينًا فضل الصبر عليها بإذهاب الخطايا ومحو السيئات، ثم ارتقى في جزاء الصبر إلى لقاء المؤمن ربه وليس عليه خطيئة جزاء الصبر على البلاء في النفس والولد والمال، ثم ارتقى إلى خيرية أعلى في جزاء الصبر وهي محبة الحق سبحانه وتعالى ورضاه لمن صبر على البلاء واحتسب الأجر وذاك في حديث (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء).

فخيرية عطاء الصبر ارتقت وتدرجت في مراقي الخير والفلاح من حديث إلى آخر في تسلسل وتتابع وتكامل في البيان كشف عن لحمة الترابط بين المعاني في النظم العليِّ.

وقد ترتكز علاقة التتابع والتدرج بين الأحاديث على علاقة الشمولية والتضمين، فالحديث الأول يشمل ويتضمن كل ما تفرع عنه، فخيرية الصبر على الضراء تدخل في عموم خيرية وسعة العطاء، والضراء تتضمن وتشمل الآلام الجسدية والنفسية، والآلام الجسدية يدخل فيها الحمى، كما تتضمن الضراء الابتلاء في النفس والولد والمال، وعموم البلاء، وكذلك خيرية الصبر تتضمن تكفير السيئات، ومحو الخطايا، ولقاء المؤمن ربه وما عليه خطيئة، ومحبة ورضا الحق سبحانه وتعالى عن عبده الصابر.

فتعدد العلاقات وأواصر الصلة بين المعاني يبين للمؤمن عن فضيلة الصبر، ويكشف عن عظيم ثوابه، ويقرر ويؤكد سعة عطائه في تتابع وتلاحم يأخذ بعضه بحُجْز بعض، وتسهم الروابط اللفظية حيث التقسيم والعطف وأسلوب الشرط وغيرها -كما سيأتي- في الدلالة على قوة الاتساق بين جمل الحديث الشريف، فيعلق بعضها ببعض على أكمل وجه وأتم بيان.

التدرج والتتابع في عرض المعني في بنية الأحاديث.

حديث:(إِنَّ نَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ)

قوامُ هذا الحديث إبانة فضل الصبر على المؤمن، وذلك من خلال الكشف عن الوسائل التي تعين المؤمن على حسن التلقي لإقدار الحق سبحانه وتعالى في الرزق المقسم بين العباد، فالجملتان في صدر النص الشريف أبانتا عن السؤال من جانب الأنصار والعطاء من جانب النبي (ﷺ) حتى نفد ما عنده(ﷺ)، وهذا يدل على أن عطاء البشر ينفد مهما طال، وأن المؤمن لابد له من معين دائم يعينه على مواجهة أمور حياته، ويتقوى به في مواجهة الصعاب. ووصل النظم الشريف بين جملة (فَأَعْطَاهُمْ) وقوله (إِنَّ نَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالفاء التي تدل على التعقيب بلا إمهال؛ ليكنى بذلك عن كرم النبي (ﷺ) وسرعة استجابته لطلب الأنصار، وتكرار لفظ العطاء مرتين في الحديث موصولا بالفاء يقرر ويؤكد كرم النبي(ﷺ)، ورحمته ورأفته بالأنصار، وهذا عام لكل المؤمنين وليس للأنصار فحسب يدل على ذلك قوله تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ويتآزر الوصل بالفاء مع السياق التركيبي للنظم النبوي بما يدل على كرم النبي(ﷺ) من خلال الكناية عن صفة الكرم في قوله: (مَا يَكُونْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ)، والسؤال من جانب الأنصار وصله النظم الشريف بـــ(ثم) وهي تنبيء عن التراخي الرتبي بما يفصح عن عفة الأنصار في السؤال، ويدلل على أن سؤالهم لم يكن إلا لحاجة ملحة عليهم.

وأعقب النظم الشريف هذا بثلاث جمل نسجت في قالب واحد وهو قالب الشرط، وأبانت عن الوسائل التي تغني المؤمن عن العطاء البشري (وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ) وتلك حكم

محمدية، وضياءات نبوية تبين الطريق المستقيم، وتهدي إلى ما فيه خير وصلاح المؤمن؛ حيث تهدف الأنوار المحمدية إلى بيان فضل التعفف والاستغناء والصبر، فمن تعفف واستغنى بما أعطاه الله ولو قليلًا أعفه الله وأغناه عمن سواه، وفي قوله: (يُغْنِهِ اللَّهُ) لطيفة ربانية فالحق سبحانه وتعالى يجزي المؤمن المستغني بفضل ربه بأن يكفيه ويجعله أغنى به عمن سواه، ويجعله أيضا مصدرا لغنى غيره، وذلك إما بإسباغ واسع نعمته سبحانه على عبده المتعفف، أو باقتداء غيره به بما يرى من صلاح حال هذا المستغني بربه، فيصير بهذا مصدرًا لإغناء غيره عن السؤال والطلب، ورافد تلك الدلالة يأتي من إسناد الغنى إلى الاسم الجليل الظاهر.

كذلك من لطائف ودقائق النظم الصياغة التركيبية التي جاءت عليها أفعال الشرط في الجمل الثلاث (يَسْتَعْفِفْ، يَسْتَغْنِ، يَتَصَبَّر) والتي توحي بطلب العفة والاستغناء والصبر، وهذا ينبيء عن ضرورة حث المؤمن إلى الترفع إلى مكارم الأخلاق والإقبال على الحق سبحانه مالك الملكوت. وقَوْله: "(وَمن يتصبر)، أَي: من يعالج الصَّبْر، وَهُوَ مَن بَاب: التفعل، فِيهِ معنى التّكَلُّف (يصبره الله) أَي: يرزقه الله صبرًا وَهُوَ من بَاب: التفعيل"[1].

ومن علو النظم النبوي الذي زاد البيان اتحادًا مجيء جواب الشرط في الجمل الثلاث من نفس صياغة فعل الشرط (يُعِفَّهُ اللَّهُ، يُغْنِهِ اللَّهُ، يُصَبِّرْهُ اللَّهُ) ليدلل على أن الجزاء إنما يكون من جنس العمل، فمن قصد الترفع إلى معالي الأمور والتخلق بالمكارم أعانه الحق، وأغناه بفضله، وأمدّه بقوة الصبر التي تحقق عظيم الأجر والمثوبة، فالمؤمن بهذا ينتقل من عطاء الأغيار إلى عطاء رب الأغيار الذي لا يتغير ولا ينفد عطاؤه، فجواب الشرط يقرر ويؤكد إقبال الحق الكريم على عبده المؤمن المقبل عليه المستعفف والمستغني به عمن سواه.

(١) ينظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين بن أحمد العينى (ت ٨٥٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر- بيروت،٤٩/٩.

وآثر النظم النبوي التعبير بجلال الألوهية في إسناد جواب الشرط إلى الذات العليِّة لينبيء عن حكمة الحق سبحانه وتعالى ورحمته بعباده المؤمنين؛ ذاك أنه هو الخالق لعباده وهو المقسم الأرزاق، قسّمها بين عباده بموجب حكمته ورحمته بهم، فمنهم من بسط الله له الرزق ومنهم من قدر عليه رزقه رحمة بهم، يقول تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧]، فهو سبحانه مع تقدير الرزق قسم لعباده من رحمته وبالغ عنايته بهم ما يعينهم على الرضى بقدره، فمن تعفف واستغنى وتصبر بالله أمدّه الله بالرزق الفياض، والعطاء الواسع المستمر، والمدد الذي لاينضب من عنده سبحانه وتعالى، فلا تقوى الكروب ولا النوائب على المؤمن؛ لركونه إلى ركن شديد لا يُغلب. فإضافة الاسم الجليل إلى العفة والاستغناء والصبر أبانت عن عظم المدد والجزاء الذي يناله المتعفف والمستغني والمتصبر، وذلك من خلال الإبانة عن رافد ومصدر هذا العطاء.

وآثر النظمُ العليُّ وضعَ المظهر موضع المضمر وكرر الاسم الجليل استحضارًا لعظمته سبحانه في إحداث الفعل وهو العفة والغنى والتصبر، وإمعانًا في طمأنينة نفس المؤمن، وإشاعة عظمة تلك العفة والاستغناء والصبر؛ لأنها صادرة من جلال الألوهية، فضلا عن الرغبة في تمكين المعنى المقصود من عطاء الصبر في نفس المؤمن فضل تمكن.

ويسكن في جمل الشرط الثلاث التلاحم والترابط والتناسب بين المعاني وانتظام المبانى؛ حيث جاء السياق التركيبي على حذو واحد وهو أسلوب الشرط فأبان عن الترابط والتآلف واتحاد المبنى، كذلك تظهر للمتلقي أواصر القربى بين العفة والاستغناء والصبر، فالعلاقة بينهم علاقة تلازم[١] فالعفة والاستغناء من لوزام الصبر فهما يصدران عنه، فالتناسبُ بين الثلاث جمل قائمٌ على علاقة التلازم انتقل فيها النظم النبوي من الملزوم إلى اللازم، فالتلازم بادٍ في كل جملة

(١) التلازم: أن يدل اللفظ على لازم معناه الموضوع له، ينظر المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث، ٨٤/٣.

من جمل الشرط، فكل جملة تلزم الأخرى، وكل جملة تدل على الأخرى دلالة الملزوم على اللازم، وذاك يبين عن براعة التناسب والتآلف بين جمل الحديث ويظهر صلة الرحم بينها.

كذلك قد يكون الاتساقُ بين العفة والاستغناء والتصبر–والتصبر حمل النفس على الصبر– قائمًا على ذكر العام بعد الخاص، فالعفة والاستغناء خاص والصبر عام؛ لأنه يشمل الصبر على الطاعات وعن المعاصي وعلى الابتلاءات والمصائب، فالترابطُ قائمٌ على الصلة بين العام والخاص، وقد يكون الترابط في بناء جمل الشرط في الحديث قائمًا على أسلوب الترتيب[١] في ذكر العفة والاستغناء والصبر؛ حيث جاء الترتيب وفق ترتيبهم في صفات المؤمن، فالمؤمن إذا ما عفَّ عن الطلب استغنى بما في يده، وإذا ما استغنى صبر على قدره ورضي بقضاء ربه.

وتلك العلائق تبين عن الترابط والاتساق بين المعاني في الجمل الثلاث التي تلاحمت في المبنى والمعنى، كذلك يظهر الاتساق في أسلوب الترقي[٢] بين الجمل الثلاث بما يرقى بالمؤمن في مراقي مكارم الأخلاق وأوسع الفضائل، فالترقي نبع من الانتقال من العفة ثم إلى الاستغناء ثم إلى الصبر.

---

(١) أسلوب الترتيب: وهو أن يورد أوصافًا شتى في موضوع واحد أو في بيت واحد وما بعده على الترتيب، ويكون ترتيبها في الخلقة الطبيعية ولا يدخل فيها وصفا زائدًا عما يوجد علمه في الذهن أو العيان. ينظر خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ت عصام شقيو، دار مكتبة الهلال بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ٢٨٤/٢.

(٢) الترقي: "من البديع لدى ذكر المتعدّدات من جنس أو نوع أو صنف واحد، إذا كان بينها تفاضل في الدَّرَجات أو المراتب، أن تُذْكر إمّا من الأدنى إلى الأعلى ترقّيًا"، ينظر البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م، ٤٦١/٢.

ووصل النظم النبوي بين(وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ) وقوله:(مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ) برابط لفظي وهو الواو لما بينهما من التوسط بين الكمالين مع عدم وجود مانع من العطف، فبينهما اتحاد وترابط ، فالجمل الشرطية الثلاث تعد بمنزلة التهيئة والتمهيد والتوطئة للمقصود وهو ما حملته جملة (مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ) من خيرية وسعة عطاء الصبر، فتلك الجملة هي ملاك المعنى؛ لأنها شملت وتضمنت المعاني السابقة عليها، كما أنها كشفت عن المعنى الذي يرمي إليه الحديث، حيث بيان عظم فضل الصبر على المؤمن.

كما وصل بين(خيرًا) و(أوسع) برابط لفظي وهو الواو ليدل على الترابط بينهما؛ حيث كمال اتصاف الموصوف بكل صفة على حدة[١]، فالصبر يتصف بكمال الخيرية وبكمال السعة، والسعة المرادة في الصبر قد تكون من جهة أن الصبر فضيلة شاملة تتسع لكل الخلال الحميدة كالعفة والاستغناء والشجاعة والعزيمة وقوة الإرادة والإباء والكرم، وقد تكون السعة من منزع أن الصبر عطاء يتسع ليشمل كل الابتلاءات والمحن والمكاره والأمور التي تعرض للمؤمن في حياته. وعبر عن الصبر بالعطاء وذلك بالنظر إلى أثره وفضله والأجر الذي يثاب عليه.

ويظهر التدرج في بنية الحديث في عرض المعني في البيان الشريف من خلال أواصر الصلة والاتساق بين جمل الحديث، حيث التوطئة والتمهيد في جمل الشرط الثلاث وصولًا إلى القاعدة الكلية والهدف المنشود وهو خيرية وسعة عطاء الصبر.

---

(١) يراجع علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني،أ.د/بسيوني فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م،٤٣٧.

حديث: (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ):

قوام هذا الحديث هو بيان خيرية أمر المؤمن في جميع أحواله وأموره المتغيرة، والاتساق بين معاني الحديث يظهر من خلال تدبر معانيه، فالحديث سائر على نهج التدرج والتسلسل في البنية التركيبية؛ حيث بدأ بحكم عام فيه إجمال (إن أمره كله خير) فهذه الجملة تؤسس للمعني المقصود الذي هو خيرية جميع أحوال المؤمن، واقتضى البيان النبوي الشريف تفصيل هذا الإجمال فكان التتابع بين المعاني من خلال التدرج من الإجمال إلى التفصيل القائم على التقسيم في قوله: (إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)، والنفس تأنس بالمعنى الذي يلقى إليها متدرجًا يشبع استشرافها وطلبها له، ويلبي حاجتها إليه، ويسلك في الوصول إليها مسلكًا لطيفًا، فيلقى منها وقعًا أثبت وأقوى وأكثر عناية من المعنى الذي يلقى إليها ساذجًا غفلًا دون استشراف طلب، والتفصيل بعد الإجمال من العلاقات التي تبين عن لحمة الترابط بين المعاني، فذكر الشيء مجملًا ثم تفصيله ببيان أحواله يمكِّنه في النفوس؛ لأنه يأتي إليها بعد معاناة الوصول، فيكون"وقعه على النفس أشد وقوعًا ورسوخًا فيها؛ لأن فى الإجمال تشويقًا، والحاصل بعد الطلب أعز من المنساق بلا تعب، والغرض من الكلام تمكن معناه ليقع العمل على مقتضاه"(١) .

وجاء التفصيل من خلال أسلوب التقسيم- وهو من وسائل الترابط والتماسك النصي- فأظهر التدرج في بناء المعاني من خلال استيعاب أقسام أمور المؤمن، فأمر المؤمن ينقسم لقسمين سراء وضراء، وهذا التقسيم يقنع المتلقي بمضمون الكلام؛ ذاك أن"الكمال في المعاني باستيفاء أقسامها واستقصاء متمماتها."(٢).

---

(١) ينظر حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) ضمن شروح التلخيص، محمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت،٢/٢٤.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات، بيروت-لبنان، ط١٤٢٧،١هـ-٢٠٠٦م، ٢/٣٣٢.

وفصلت جملة (إن أمره كله خير) عن قوله: (عجبا لأمر المؤمن) لما بينهما من شبه كمال الإتصال؛ حيث جاءت الجملة الثانية جوابًا عن سؤال تضمنته الجملة الأولى، فأبانت عن مناط العجب في أمر المؤمن، والتوكيد في لفظ (كله) يفيد معنى العموم، أي عموم خيرية أمور المؤمن، ووصل النظم النبوي الشريف بين قوله: (ليس ذلك لأحد إلا للمؤمن) والجملة قبله برابط لفظي وهو الواو لما بينهما من التوسط بين الكمالين، زادت الجملة الثانية فيه بعطاء جديد وهو اختصاص المؤمن من بين البشر بهذا الحكم، فالجملة بنيت على القصر، قصر صفة على موصوف، وجاء القصر من أقوى الطرق دلالة وتأكيدا على المراد؛ وذلك بيان لأهمية ما اختص به المؤمن من جزاء الصبر دون من عداه.

وآثر النظم العلي التعبير بالمظهر في موضع المضمر (المؤمن) وذلك لإبراز العناية والاهتمام بالحكم الخاص به دون غيره. وذكر الطيبي أن ذكر المؤمن هنا" للإشعار بالعليّة"[١].

وجاء النسق التركيبي للجملتين (إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له) و(وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) على أسلوب الشرط اختلفتا في فعل الشرط واتفقتا في الجواب بما يدل على خيرية أمر المؤمن في الحالتين، ومجيء الجملتين على نسق واحد أكسبهما تلاءما وتناسبا، وألمح إلى الترابط بينهما، فهما يقرران حقيقة ثابتة وهي خيرية أمر المؤمن في هذين الحالتين، مقيدة في الحالة الأولى بالشكر وفي الحالة الثانية بالصبر، وأسلوب الشرط من الروابط اللفظية التي تقرر المعنى في النفس وذلك من خلال التشويق إلى ذكر الجواب الذي

(١) ينظر شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن، للإمام الكبير شرف الدين الحسين الطيبي(ت:٧٤٣هـ)، تحقيق ودراسة عبدالحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز،مكة المكرمة، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ٣٣٣٤/١٠.

يقرر ويمكن المعنى في النفس؛ حيث" يتَوَقّف تَمام الْمَعْنى فِي أسلوب الشّرْط على مَا يلْزم عَن الشّرْط وَهُوَ الْجَواب"(١)، وهو أيضا يحمل معنى التتابع في عرض المعنى من خلال تجزئة المراد بين فعل الشرط وجوابه، ففعل الشرط يجعل النفس تستشرف إلى الجواب، فإذا ما ذكر الجواب وهو يلزم عن فعل الشرط قنعت به النفس واطمأنت له ووقع منها موقعا آكد.

ومعنى الحديث يقتضي هذا التدرج والتسلسل في بيان المعنى؛ ذاك أن المقام يقتضي تمكين الصبر في نفس المؤمن؛ ليمتلئ قلبه به ترغيبًا له في الصبر، ونهيًا عن الجزع والسخط، وبيانًا لأهمية الصبر واعتباره في أصعب وأشد أمور المؤمن وهي الضراء.

ويظهر للمتدبر للحديث الترقي في أسلوب عرض المعنى ترقيًا في الإبانة؛ ليتمكن المعنى المقصود ويتقرر في النفس، وذلك من خلال عرضه لخيرية أمر المؤمن في صورتين مختلفتين أحدهما صورة مجملة وهي عموم الخيرية في قوله: (إن أمره كله خير) وصورة أخرى مفصلة وهي ما تضمنه أسلوبا الشرط، وفصل بين طرفي التتابع والتدرج في عرض المعنى لما بينهما من شبه كمال الإتصال، فاستغنيا بما بداخلهما من رابط معنوي عن الرابط اللفظي، كذلك نلمح الترابط والتعانق بين المعاني في جملتي الشرط من خلال عرض المعنى في صورتين متقابلتين قامتا على التضاد القائم بين السراء والضراء، والتقابل أساس من أسس تناسب المعاني والتوفيق بينها، فالتوفيق والارتباط بين المعاني المتضادة يفصح عما بينها من تباين، فذكر أحد الطرفين يجعل تصور الطرف الآخر حاضرًا في الذهن، فإذا ما ذكر حسن ذكره وتمكن في النفس، واختار

(١) ينظر رسالة المباحث المرضية المتعلقة بـــ (من) الشرطية، عبد الله بن يوسف جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـــ)، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، دار ابن كثير – دمشق / بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـــ – ١٩٨٧م، ٥٨.

النظم النبوي لفظ الإصابة لكل من السراء والضراء لينبيء عن رجوع الأمر كله لله، فيجب على المؤمن الصبر والرضى وحسن اليقين بالله.

وتكرار لفظ الخير في الحديث الشريف ينبيء عن الرغبة في تقوية وتأكيد اختصاص المؤمن بتلك الخيرية، فهي خيرية خاصة به شملت السراء والضراء تأسيسًا على ما كان منه من عقيدة إيمانية ورضى ويقين بحكمة الخالق سبحانه وتعالى، وجاء لفظ خير نكرة ليتسع فيشمل عموم الخير، وهذا العموم فصَّل في أحاديث أخرى أبانت عن لحمة الترابط بين الأحاديث الشريفة، كذلك لفظ ضراء جاء مبهما، بيِّن في أحاديث أخرى أعربت عن لحمة الاتساق بين الأحاديث، وكشفت عن التتابع في كشف حجب المعنى.

حديث : (ما يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلا وَصَبٍ)[1]

جاء النسق التركيبي لهذا البيان الشريف على أسلوب القصر بالنفي والاستثناء والذي أفاد تقوية المعنى وتأكيد الحكم، قاصرًا العموم المطبق في قوله (ما يصيب) والعلل المفصلة في النظم النبوي – والتي قسمت إلى علل بدنية ونفسية–على الجزاء الجليل وهو تكفير الخطايا والسيئات قصر موصوف على صفة، أبان عن أهمية الصبر واعتباره عند مواجهة تلك الابتلاءات، والكشف عن مكانة الصبر وعظيم ثوابه، ويظهر للمتلقي تعانق أسلوب التقسيم مع أسلوب القصر في بناء نظم محكم بليغ.

وصدر النظم النبوي بالتفصيل في ذكر أقسام الآلام التي يشعر بها البدن أو تتألم منها النفس، وهذا تفصيل أجمل في بيان الجزاء والمآل في آخر النظم،

(١) النَّصَبُ :الإعْياءُ من العَناءِ، لسان العرب مادة (ن، ص، ب)/ وصب: مرض وَوجد وجعا، المعجم الوسيط مادة (و، ص، ب)/ الهم والحزن والغم:"قيل الهم ينشأ عن الفكر فيما يتوقع حصوله مما يتأذى له، والغم كرب يحدث للقلب بسبب ما حصل، والحزن يحدث لفقد ما يشق على المرء فقده،وقيل الهم والغم بمعنى واحد، وقال الكرماني: والغم يشمل جميع أنواع المكروهات"فتح الباري بشرح صحيح البخاري،١٠/١٠٦.

فجاء بناء الحديث على أسلوب التدرج من تفصيل أعقبه إجمال في بيان حكم الصبر على هذه الابتلاءات والعلل، وهذا يدل على عظم أجر الصبر، وفي الحديث سلوة للمؤمن مهما عظم عليه البلاء والمرض والتعب فهو يهون لعظم الأجر والثواب.

وفي النظم النبوي محذوف تطمئن إليه النفس تقديره (فصبر) فالصبر يدخل هنا ضمناً؛ لارتباط النصب والوصب والهم والحزن والأذى بالضراء في حديث (إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)، كذلك ارتباط محو الخطايا بعموم الخير في قوله(خيرًا له) وذلك في حديث (عجبا لأمر المؤمن)[١]، فالنفس في هذا الحديث تطمئن إلى وجود محذوف، وبناء الحديث على أسلوب الحذف أقوى في إفادة العموم والإيجاز. والبيان النبويُّ الشريف في هذا الحديث يسلكُ مسلكَ التدرج في كشف المعنى، فالضراء عام مبهم فصل وأبين بالنصب والوصب والهم والحزن والغم والأذى، والخير مجمل فصل بذكر وجه من وجوهه وهو محو الخطايا، وتلك هي لحمة الارتباط والاتساق بين الأحاديث بما يقرر للمؤمن فضيلة الصبر وعظيم عطائه وثوابه، ويقرر القاعدة الأم وهي سعة خيرية وعطاء الصبر المنصوص عليها في حديث (ما أعطي أحد عطاءً خيرا وأوسع من الصبر)[٢]، وفي هذا تلاحم وترابط بين الأحاديث، حيث تندرج في سلسلة منتظمة يأخذ بعضها بحجز بعض.

وجاء البيان النبوي على أسلوب التدلي[٣] حيث انتقل من الأعلى ضررًا وتأثيرًا على حركة المسلم في الحياة إلى الأخف ضررًا؛ حيث روعي في بناء

---

(١) سبق تخريجه ص٢١.

(٢) سبق تخريجه ص٢١.

(٣) التدلي: يكون مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَدْنَى، ينظر الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤٦/٣.

جملة التفصيل حسن الترتيب من الأعلى إلى الأدنى تدرجًا في عرض المعنى وصولًا إلى الجزاء المراد وهو محو الخطايا والسيئات، فبدأ بالنصب ثم الوصب والجمع بينهما جمع بين المؤتلفات وهن يصبن الجسد، ثم انتقل إلى الهم والغم والحزن والأذى وهذا جمع بين مؤتلفات يصبن الروح والنفس، ثم انتقل من تلك الآلام البدنية والنفسية إلى الأخف ضررا وهو الشوكة يشاكها المؤمن.

والنظم النبوي يظهر فيه أيضا حسن الانتقال من العلل الظاهرة إلى العلل الباطنة أو من الخارج إلى الداخل؛ حيث بدأ بما يعرض للمؤمن من الآلام والتعب والإرهاق من المرض العارض أو الملازم إلى الآلام النفس والقلب التي تتأتى من السياق الحضاري الذي يعايشه المسلم، والعطف والترابط بين تلك الآلام المترابطات المتقاربات في الذهن، ونسجها نسجًا متلائمًا في دقة بالغة يبين عن الصلة والترابط بينها، ويدل على كمال اتصاف الموصوف بكل صفة على حدة.

ويتصل بهذا الحديث ويزيد عنه رواية عبد الله بن مسعود –ﷺ– **قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَبيِّ ﷺ وَهُو يُوعَكُ فَقُلْتُ:" يَا رسُولَ اللَّه إِنَّكَ تُوعكُ وَعْكاً شَدِيداً قَالَ :أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُم .قُلْتُ: ذلكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ :أَجَلْ ذَلك كَذَلك مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، شوْكَةٌ فَمَا فوْقَهَا إلاَّ كَفَّر اللَّه بهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجرةُ وَرقَهَا"**(١).

جاءت رواية ابن مسعود تتفق مع رواية أبي سعيد في البنية التركيبية حيث التدرج في عرض المعنى من خلال أسلوب القصر المستفاد من النفي والاستثناء، وتختلف رواية ابن مسعود في مسلك التدرج؛ حيث بدأت بالعموم

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المرض ، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل،١٠/١١١، (ح:٥٦٤٨).

والإجمال في لفظ أذى في قوله:(مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى) ثم التفصيل في قوله:(شوْكَةٌ فمَا فوْقَهَا)؛ لذا فصلت تلك الجملة عما قبلها لما بينهما من كمال الاتصال؛ حيث أبانت عن نوع الأذى شوكة فما فوقها، وتلك الجملة أبانت أن النظم الشريف سلك مسلك الترقي في عرض الأذى الذي يصيب المسلم؛ حيث تدرج من إجمال إلى تفصيل، ومن الأدنى إلى الأعلى شوكة فما فوقها، وفي الحديث حذف تقديره (فصبر)، وتقدير الحذف هنا يعضده كما ذكرت الأحاديث الأخرى الواردة في سياق الصبر على الضراء، والصبر على البلاء كما سيأتي، ويعضده عدم المساواة بين الصابر على الابتلاء والجازع له.

وزادت رواية ابن مسعود أيضا بتقوية الإقرار بعظيم عطاء الصبر من خلال التشبيه التمثيلي الذي قوى المعنى وأخرجه من ظلال العقليات إلى دوحة الحسيات، فارتسم الحكم وهو جزاء الصبر على الأذى بتكفير السيئات بواقع محس مشاهد، وذلك من خلال التشبيه التمثيلي الذي أبان عن مشابهة الهيئة الحاصلة من عطاء الصبر وعظيم أثره إزاء إصابة المؤمن بأصناف الأذى وضروب الآلام، وما يؤول إليه هذا الصبر من تكفير السيئات ورفع الدرجات، فتمحى خطاياه ويزال عنه ما يعيق حسن تلقيه عن الله، وحسن تطبيقه منهج السماء، بالهيئة الحاصلة لشجرة ذبلت أوراقها وتعاقبت عليها الفصول فما كان منها إلا أن حطت أوراقها الذابلة المتساقطة التي لا تنفع؛ ليخرج مكانها الأوراق الصالحة النافعة، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من حسن التعامل مع الصعاب بما يخلف عنه زوال الضرر واستبقاء الحسن والنفع، وذهب الإمام الطيبي إلى أن وجه الشبه هو"الإزالة الكلية على سبيل السرعة لا الكمال والنقصان؛لأن إزالة الذنوب عن الإنسان سبب لكماله، وإزالة الأوراق عن الشجرة سبب نقصانها"[1].

(١) يراجع شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن للإمام الطيبي، ١٣٣٩/٤.

وتبدو براعة التشبيه التمثيلي في بلاغة انتقاء الألفاظ وحسن التناسب والتلائم بين حال المؤمن المبتلى وحال الشجرة الذابلة، وبين الذنوب والأوراق الذابلة، وبين ظهور الأوراق الخضراء النافعة بعد سقوط الأوراق الذابلة، وبين محو السيئات بالصبر على الابتلاء بما يعيد للمؤمن استقامته على المنهج من جديد.

والتصوير في البيان النبوي ضربٌ من ضروب الإبداع والإعجاز؛ "حيث يرتقي إلى مرتبة أعلى في العربية، فينسج على أكمل تمامه، وأبهى أوصافه، وأورف ظلاله، فحديث النبي من البلاغة العليِّة التي تتطلع نحوها الأبصار، وتتقاصر دونها الأعناق، وتبدو صورة حية وإبداع ملهم مطبوع لا تكلف فيه"(١).

حديث: (لا تَسُبِّي الْحُمَّى. فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ).

جاء النظم النبوي في الحديث الشريف يبين عن جزاء الصبر على الحمى، والحمى خاص من عام وهو الضراء في حديث(عجبا لأمر المؤمن)(٢)، والحمى أيضا صورة من صور الوصب في حديث (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن)(٣)، فالحديث يرتبط بالأحاديث السابقة حيث الإبانة عن المعنى من خلال التدرج من العموم إلى الخصوص، وهو كذلك في بنيته يظهر فيه التدرج في عرض المعنى حيث الترقي من المعنى العقلي إلى المعنى المحس المشاهد كما سيأتي.

يظهر للمتلقي الترابط بين جمل البيان الشريف؛ حيث فصلت جملة(لا بَارَكَ اللهُ فِيهَا) عن (الْحُمَّى) لما بينهما من كمال الانقطاع مع الإيهام، وجيء بالفاء في

(١) البيان النبوي، د. رجب محمد البيومي، ٢٢٩وما بعدها، دار الوفاء بالمنصورة، ط١، ١٩٩٧م

(٢) سبق تخريجه، ص٢١.

(٣) سبق تخريجه، ص٢٢.

قوله(فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ) فاء سببية أبانت عن اللحمة بين الجملتين وأعربت عن سبب النهي عن سب الحمى، وفاء السببية ترتب ما بعدها على ما قبلها، وتعرب عن التلازم الذهني بين المعنيين، وتلك لحمة الصلة بين السبب والمسبب، فنهى الرسول (ﷺ) عن سبِّ الحمى؛ لأنها تذهب الخطايا.

والبحث يطمئن إلى سكون الصبر في دلالة الحديث سكوناً ضمنيا دون التصريح به؛ وذلك استنادًا إلى الأحاديث الأخرى التى نص فيها النظم العليُّ على حتمية وجود الصبر على الضراء حتى يثاب المسلم، ويجزى بتكفير السيئات، وذلك وفقا لما جاء في قوله: (إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)، وحديث النبيّ للمرأة التي تصرع ماروي أن عطاء بن أبي رباح قال: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ:"إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ قَالَتْ: أَصْبِرُ قَالَتْ: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ لا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا"(١).

والصرعُ أشد ضررًا من الحمى وأكثر إيذاءً وإيلامًا، فضلًا عن كونه يلازم المرء ويستغرق وقتا أطول في التعافي، فلو كان الثواب حاصلًا بمجرد الإصابة لكان الصرع أولى من الحمى، ويدل على ترتيب ثبوت الجزاء على وجود الصبر قوله:(إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ)، فعلق الجنة على الصبر، فالصبر على الصرع جزاؤه الجنة، ويلزم عن هذا تكفير السيئات ورفع الدرجات، وهذا ما يطمئن إليه البحث.

ولما كان جزاء الصبر على الحمى بإذهاب الخطايا أمرًا عقليًا أخرجه البيان النبوي الشريف إلى معرض المحس المشاهد عن طريق التمثيل زيادة في

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، (ح:٢٥٧٦).

إيضاحه وبيانه، حيث شبه الهيئة الحاصلة من الحمى التي تصيب المؤمن وتنزل به الآلام فيصبر عليها ويتحملها ويستقبلها بالرضى التام من خالقه، فتمحى خطاياه وتقوى عقيدته، وتعود نفسه المؤمنة مرة أخرى صافية طاهرة من الذنوب والآثام تنسجم مع الكون وتتناغم معه بتطبيق منهج خالقها وحسن تلقيها عنه، فيتحقق النفع لها ولغيرها بحال الكير الذي ينفخ به في النار؛ ليزداد ذكاؤها وإشعالها، فتقوى على صهر الحديد وإزالة الشوائب العالقة به فيعود المعدن إلى ما كان عليه، فيمكن تطويعه وحسن الاستفادة منه، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من الأثر الناتج عن تحمل أمر شديد على شيء علق به ما يعيق نفعه بما يزيل هذه العوائق ويذهب الفساد ويستبقي ما يحقق النفع والصلاح.

وتبدو براعة الصورة التمثيلية في دقة تناسب وتلاؤم عناصر الصورة التي يذهب أثرها في بيان المعنى وفي النفس عند فك التلاحم والترابط بين عناصر التشبيه، فالحديد الصلب القوي هو ابن آدم، وخبث الحديد هو الخطايا الطارئة عليه غير المستأصلة في نفسه، إنما تكون عارضة تنشأ من الإهمال والانحراف عن منهج السماء، والكير هي تلك الحمى التي تشعل الحرارة في جسده، فيحصل من تحملها والصبر عليها تنقية النفس ومحو الخطايا، وتقوية عقيدة اليقين والرضى بحكمة الحق سبحانه وتعالى.

وقوله: (كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ) جملة مستأنفة للبيان تنبيهًا بالشاهد على الغائب وبالحس على العقل، والتمثيل هنا يحسن؛ لأنه"إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، وإدناء المتوهم من المشاهد"[١] والتلازم بين أثر الصبر على الحمى بمحو الخطايا وأثر الكير على

(١) ينظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، تعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة ، بيروت–لبنان،ط٣،١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م،.٤٦.

خبث الحديد بإزالته هو تلازم بين المعنى الممثل له والممثل به آتٍ من جهة أن الثاني بيان للأول، وكاف التشبيه رابط لفظي بينهما. ويسكن برحم التشبيه التمثيلي صورة استعارية تصريحية جسمت الخطايا في صورة شيء مادي حسي يذهب ويزول.

حديث: (مَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ):

وقوام هذا الحديث بيان عظم الصبر على البلاء واختصاصه بمزيد الفضل والثواب والأجر، والحديث يسلك مسلك التدرج في إيضاح المعنى؛ وذلك من خلال أسلوب التدلي في استيعاب أقسام البلاء الذي ينزل بالمؤمن، فالتقسيم عانق التدرج في عرض المعنى، ويظهر للمتلقي التدلي حيث البدء بالبلاء الأعلى ضررًا وهو البلاء في النفس، وهو عام يشمل كل ما شأنه إلحاق الأذى والضرر بالنفس ثم تدلى إلى الأقل ضررا وهو البلاء في الولد، ثم انتقل إلى الأهون ضررًا وهو المال؛ ذاك أنه متجدد يفنى ويعود، أما سابقيه فالضرر الواقع فيهما يصعب استعاضته.

والحديث مبني على الحذف والتقدير (فيصبر) أي فيصبر حتى يلقى الله وما عليه خطيئة، والذي يرجح الحذف إسناد دوام واستمرار نزول البلاء بالمؤمن والمؤمنة، وعقيدتهما تقتضي الصبر والرضى بحكمة مجري الأقدار عليهم، فضلًا عن النص الصريح عن ثواب الصبر على البلاء في الأحاديث الأخرى: حديث (إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)، وحديث المرأة التي تصرع، وحديث (اتقي الله واصبري) وسيأتي الحديث عنه في المبحث التالي.

ونص النظم العليُّ على المؤمنة رغم دخولها في المؤمن من باب التغليب وذلك لإبراز العناية والاهتمام بالحكم والدلالة على أن المبتلية في نفسها وولدها ومالها لها أجرها كاملًا لا ينقص منه شيء. وحتى في قوله: (حَتّى يَلْقَى اللّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ) تشعر بأمرين أحدهما أن المتسبب في كثرة نزول الابتلاءات هو

المؤمن نفسه، وهذا ناظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] فكثرة خطاياه وذنوبه تستدعي نزول الابتلاءات رحمة به من ربه لمحو ذنوبه، والآخر أن كثرة نزول الابتلاءات بالمؤمن لرفع الدرجات ورقيّه في عليا الدرجات في جنات النعيم، وهذا أيضا من رحمة الحق سبحانه وتعالى بعباده المؤمنين.

وبيان عظم الثواب الذي يناله المؤمن والمؤمنة إزاء الصبر على النفس والولد نصَّ عليه الحق سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ** ﷺ **يَقُولُ:" إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ"**(١). يُرِيدُ: عَيْنَيْهِ.

فالتصريح بضرورة الصبر في هذا النص القدسي يدعم ويعضد ما ذهب إليه البحث من صحة تقدير الحذف (فيصبر) في حديث (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة)، كما أبان النص القدسي هنا عن أعلى وجه من وجوه الخير في الصبر وهو الجزاء بالجنة، وكشف عن نوع من أنواع الابتلاء في النفس وهو فقد البصر، وهو أشد ما يبتلى به الإنسان في نفسه؛ لذا جاء التعبير بـــ(حَبِيبَتَيْهِ) فهي مظهر عزته واستغنائه عن عون الناس في أمور حياته، والحديث هنا يبين عن عظم الأجر وعلو مكانة المبتلى بفقد كريمتيه؛ حيث إضافة ياء المتكلم في قوله(عبدي) وهذا ينبيء بأن المختصين بتلك المنة عباد اصطفاهم الحق فأولى عليهم عظيم عنايته وبالغ رحمته، وهذا المعنى يرتبط مع قول النبي(ﷺ): (إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم) وسيأتي الحديث عنه.

ويرتبط مع هذا الحديث القدسي حديث قدسي آخر نصَّ فيه الحق سبحانه وتعالي على أجر الصبر والاحتساب عند موت الصفي، والابتلاء في الولد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب فضل من ذهب بصره، (ح:٥٦٥٣).

المنصوص عليه في حديث(مَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ) يدخل في الصفي المنصوص عليه في الحديث القدسي، **قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةُ"**(١).

فجزاء الصبر والاحتساب عند فقد الصفي هو الجنة، والنص القدسي قيد الحكم بالجزاء بالجنة على الصبر والاحتساب، واكتسب هذا الحكم التقوية والتأكيد من أسلوب القصر المستفاد من النفي والاستثناء بما يظهر عظم البلاء النازل بالمؤمن، ويكشف عن عظيم الأجر والثواب.

حديث: (إنّ عِظَم الجزاءِ مع عِظَم البلاء):

سلك النظم النبوي في هذا الحديث الشريف مسلك التلازم في بيان المعنى؛ حيث ارتبطت المعاني وتلاحمت واتسقت برباط التلازم المعنوي الذي يظهر من خلال البناء التركيبي للنظم العليِّ للمقدمة والنتيجة المترتبة عليها، فالنسق التركيبي للحديث الشريف جاء على نسق أسلوب الشرط –وهو الأسلوب العمدة والمهيمن على أسلوب الحديث– الذي يفصح عن شدة الترابط والتلاحم، ويحقق التلازم بين الشرط وجوابه، وهذا يظهر للمتلقي عند الوقوف على معاني الحديث، ذاك أنه مبني على بيان وتفسير وجه من وجوه خيرية الصبر، وهو الصبر على البلاء، فبدأ بالجملة المؤسسة لمعنى الحديث والتي تناسل منها معاني الحديث (إنّ عِظَم الجزاءِ مع عِظَم البلاء) لتبين عن تناسب الأجر والثواب مع عظم البلاء والصبر عليه.

ووصل بين قوله: (إنّ الله تعالى إذا أحبّ قومًا ابْتلاهُم) والجملة الأولى برابط لفظي وهو الواو لما بينهما من التوسط بين الكمالين، وزادت الجملة الثانية ببيان

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله، ٢٤٢/١١، (ح:٦٤٢٤).

أن حبَّ الحق سبحانه وتعالى للمبتلين سببٌ في مضاعفة ثوابهم بعظيم ابتلائهم. وجملة(وإنّ الله تعالى إذا أحبَّ قومًا ابْتلاهُم) امتدادٌ لما قبلها، فالجمع بينهما كالجمع بين ذوي القربي؛ فالنفس لا تجد فجوة عند الانتقال من مفاد الجملة الأولى إلى الجملة الثانية، فهما يقرران حقيقة واحدة وهي اختصاص الصبر على البلاء بعظيم الأجر والثواب، وزادت الجملة الثانية بنوع خاص من عظم الأجر المنصوص عليه في بداية الحديث وهو حب الحق سبحانه وتعالى، فعلى هذا يكون التدرج من الجملة الأولى إلى الجملة الثانية تدرج خاص بعد عام.

وأعقب ذلك قوله: (فَمَن رَضيَ فله الرِّضى، ومن سَخِطَ فله السِّخَطُ) والجملتان استوعبتا أقسام الناس في نزول البلاء، فمنهم من يتلقى البلاء بالصبر والرضى والإيمان بقضاء الله وقدره، ومنهم من يجزع ويسخط. وجاء النسق التركيبي للجملتين على حذو واحد ليبين ويكشف عن التلائم والتناسب بينهما؛ حيث صبَّا في قالب الشرط، كذلك نسج جواب الشرط من خيوط فعل الشرط؛ ليدل على أن الجزاء إنما يكون من جنس العمل.

والرضى هنا في قوله (فمن رضي) مجاز مرسل علاقته اللزومية ؛عبر باللازم وأراد الملزوم وهو الصبر، فمن صبر على البلاء واحتسب رضي، ومن رضي نال رضى الحق سبحانه وتعالى، وإذا نال العبد رضى ربه تحقق له من صنوف الخير والفلاح مالا يحصى، وترقى إلى مراتب المحسنين.

والتلازم بين فعل الشرط وجوابه ظاهر يقرر المعنى المراد، وتأسس اللزوم بين جملتي الشرط على علاقة التقابل القائمة على التضاد بين تلك الحالتين: حالة الصبر والرضى على البلاء وجزاؤها الرضى، وحالة السخط والجزع بالبلاء وجزاؤها سخط الحق سبحانه وتعالى. والتضاد من أبرز وسائل الترابط والتماسك النصي، وأساس من أسس التناسب بين المعاني.

وجاء التركيز على الرضى والسخط لكونهما المقصودين بالذكر في النص الشريف، وهما بيان بعد إبهام تضمنته الجملة الأولى (إنّ عِظَم الجزاءِ مع عِظَم البلاء)، وعليه فالتدرج من الإبهام المطبق في أول الحديث إلى البيان والتفصيل القائم على التقسيم في قوله: (فَمَن رَضيَ فله الرِّضى، ومن سَخِطَ فله السَّخَطُ)؛ وذلك للإشارة إلى ما بين الجملتين من تفاوت في الإيضاح والبيان والترقي في الأسلوب، ليتمكن المعنى في النفس بعرضه في صورتين مختلفتين أحدهما مبهمة والأخرى مبينة، والفاء في قوله: (فمن رضي) فاء تفصيل وهي رابط لفظي يبين عن الترابط بين المعاني، ويحتمل أن تكون فاء فصيحة[1] تفصح عن محذوف تقديره (إذا تقرر أن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وأن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فاعلموا أن من رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط)، وقد تفيد معنى التفريع[2] على المعنى المقصود، فصدرُ الحديث أسس لمعنى تناسب

(١) فاء الفصيحة: هي الفاء التي تؤذن بشرط مقدر إذا وقعت بعد كلام يقصد به إثبات أمر مطلوب للمتكلم بعد التمهيد له بذكر مقدماته ودلائله. فيقع ما بعد الفاء موقعَ النتيجة من القياس، ينظر مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م، ١٧٨/٣.

(٢) فاء التفريع: والتفريع مصطلح بلاغي هو" جعل شيءٍ عقب شيءٍ؛ لاحتياج اللاحق إلى السَّابق" التعريفات للجرجاني (ت٨١٦هـ)، دار الكتب بيروت-لبنان،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م،٦٣/١. وذكر(الكفوي): "ولا تسمى فصيحة إن لم يحذف المعطوف عليه بل إن كان سببًا للمعطوف تسمى فاء التسبيب إلا تسمى فاء التعقيب، وإن كان محذوفًا ولم يكن سببًا لا تسمى فصيحة أيضًا بل تسمى تفريعية، والأصح أن لا فرق بين الفصيحة والتفريعية، ثم التفريع قد يكون تفريع السبب على المسبب، وتفريع اللازم على الملزوم أيضًا"، ينظر الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب الكفوي، تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت ،١٤١٩هـ-١٩٩٨م،٦٧.

الجزاء مع عظم البلاء، ففرع عليه المقصود من تلقي البلاء ليس مجرد الإصابة إنما الصبر عليه، فمن صبر ورضي فله الرضى، ومن جزع وسخط فله السخط. وذلك يظهر ترابطًا عجيبًا ونظمًا بديعًا، ويعرب عن اتساق بين جمل الحديث وأخذ بعضها بحجز بعض؛ تدرجًا في البيان وصولًا إلى المقصود.

المبحث الثاني

علاقة اللزوم بين المعاني

اللزوم في أصل معناه يُعنى بالتبعية والمصاحبة وعدم المفارقة والتفكك، فاللازم يلزم ملزومه لا ينفك عنه، واللزوم في اللغة: "لزِمَ الشيءَ يَلْزَمُه لَزْمًا ولُزومًا، وأَلزمَه إِيَّاه فالتزَمَه، ورجل لُزَمَةٌ: يَلْزَم الشيء فلا يفارِقه"(١) وهو" يدلُّ على مصاحَبة الشّيء بالشيء دائمًا"(٢)، واللزوم في اصطلاح علماء المنطق:" كون الشيء مقتضيًا للآخر، فالشيء الأول يسمى ملزومًا والثاني لازمًا والنسبة بينهما ملازمة ولزومًا وتلازمًا"(٣)، وعرفه سعد الدين التفتازاني في مختصره بأنه"دلالة اللفظ على كل من الجزء – كدلالة الإنسان على الحيوان أو الناطق– والخارج عنه – كدلالة الإنسان على الضاحك–، وهي إنما تكون من جهة العقل بأن حصول الكل أو الملزوم يستلزم حصول الجزء أو اللازم"(٤).

وذهب علماء المنطق إلى أن اللزوم أساس علم المنطق، وأرجع علماء البلاغة كثيرًا من الأساليب إلى اللزوم كالمجاز والكناية والاستعارة، والدلالة الالتزامية تدخل في الدلالة العقلية، وهي نفسها دلالة المعنى على المعنى التي استند إليها الإمام عبدالقاهر الجرجاني في تفسير مختلف الأساليب البلاغية، المجاز والكناية"(٥).

---

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة (ل، ز، م).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (ل، ز، م)

(٣) شرح الكلنبوي في علم المنطق على متن إيساغوجي، تحقبق جاد الله بسام صالح، ط١، دار النور المبين، عمان ، الأردن، ٢٠١٦م،٣٨.

(٤) ينظر مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ضمن شروح التلخيص، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر، ٣/٢٦٤-٢٦٥..

(٥) يراجع عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح بهاء الدين السبكي ضمن شروح التلخيص،٣/٢٦٧-٢٧٢

وذهب الإمام السكاكي إلى عدّ اللزوم مرجع علم البيان وهو ما عبر عنه بالملازمات بين المعاني، فإيراد المعاني على صور متباينة لابد له من اعتبار الدلالات المختلفة كدلالة المطابقة والتضمين والالتزام"[١]. فدلالة "اللفظ على لازم معناه الموضوع له؛ كدلالة (الإنسان) على الضحك، وكدلالة (حاتم) على الجود، والأسد على الشجاعة، ودلالة كثرة الرماد على الكرم دلالة التزامية، وسميت التزامية؛ لأن الضحك ليس معنى الإنسان، ولا جزء معناه، وإنما هو خارج عن معناه، لكنه لازم له. وكذلك الجود لحاتم، والشجاعة للأسد، والكرم لكثرة الرماد، فكل ذلك لازم للمعنى الموضوع له"[٢].

واللزوم من أوثق العلاقات بين المعاني وأقربهم رحمًا ونسبًا؛ ذاك أن اللازم يستدعي ملزومه لا ينفك عنه، ولا ينفصل أحدهما عن الآخر في العقل، فوجود أحدهما يستدعي حضور صاحبه، وهو ما يحدث لحمة الترابط والتقارب بين المعاني. واللزوم أحد وسائل الإفهام التام وإيصال مراد المتكلم إلى المخاطب بشكل تام؛ ذاك أنه أسلوب كامن في أصل اللغة العربية يمنح التراكيب القدرة على التواصل والإقناع.

ولما كانت البلاغة النبوية بلاغة سامية تسكن في أعلى مراتب البلاغة، ظهر اللزوم في بيان النظم العليِّ بشكل واضح يستنفر العقول، ويحثها على الوقوف على مراده على الوجه الصحيح.

وقد اندرجت تحت هذه العلاقة مجموعة من الأحاديث، وهي:

- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلَآنِ- أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ،

(١) يراجع مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت ٦٢٦هـ)،تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م،٣٢٩-٣٣٠.

(٢) المنهاج الواضح للبلاغة ، حامد عوني،المكتبة الأزهرية للتراث، ١/٤٠-٤١.

وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا"(١).

- مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فقالَ:" اتَّقِي اللَّهَ واصْبِرِي. قالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي. ولَمْ تَعْرِفْهُ ، فَقِيلَ لَها: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ. فَأَتَتْ بابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فقالَت: لَمْ أَعْرِفْكَ. فقالَ: إِنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى"(٢).

- قالَ النّبى ﷺ : "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفَيِّئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً، وَتَعْدِلُهَا مَرَّةً، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالأَرْزَةِ، لا تَزَالُ حَتّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً "(٣).

- قال رسول الله ﷺ: "أفضل الإيمان الصبر والسماحة"(٤).

علاقة التلازم بين الأحاديث:

قوام الحديث الأول الكشف عن عطاءات منن الإسلام منها الصبر، فهو يبين عن ماهية الصبر، وجملة (الصبر ضياء) هي دستور المعنى في أحاديث الصبر، وهي جذر المعنى، فالمعاني المرتبطة بالصبر متفرعة عنها، نسجت من خيوطها، فهي المرجع الذي يحتكم إليه في بيان ماهية الصبر.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، (ح:٢٢٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور،٣ /١٤٨، (ح:١٢٨٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض،١٠ /١٠٣، (ح:٥٦٤٣).

(٤) أخرجه البيهقي في شعبه، فصل الجود والسخاء، ينظر شعب الإيمان، أبو بكر بن الحسين البيهقي (٣٨٤- ٤٥٨هـ)، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م،٧ /٤٢٦، (ح:١٠٨٣٨)، أخرجه الإمام أحمد في مسنده (بلفظ أي العمل أفضل)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط الرسالة ٣٩٠/٣٧.

ويظهر بين تلك الأحاديث التلازم في كشف حجب المعنى، فالحديث الأول أصل معنى الصبر، فالصبر ضياء داخلي، قوة ذاتية، تضيء للمؤمن حسن تلقيه عن منهج السماء، والصبر اسم عام يشمل الصبرَ على فعل الطاعات، والصبر عن المعاصي وعلى الابتلاءات والمكاره، وهذا يلزم عنه أن يكون عطاء الصبر خيرًا وأوسع عطاء يرزق به المؤمن من ربه، فالعلاقة بين حديث (الصبر ضياء) وبين حديث (ما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر)[١] علاقة تلازم تبين عن مناط الاتساق والترابط بين الأحاديث، وتكشف عن التكامل بين المعاني في كشف المعنى المقصود.

وحديث النبي (ﷺ) إلى تلك المرأة الباكية على قبر فقيدها(إنما الصبر عند الصدمة الأولى) يتصل بسبب ونسب من حديث(الصبر ضياء)؛ ذلك أنه حالة متعلقة به ولازمة عنه، فذاك الضياء الذي يحمل القوة الذاتية الداخلية التي هي سبيل المؤمن في تحمل المكاره والابتلاءات، وحسن التلقي عن الله، يظهر نوره في أشد الأوقات احتياجا إليه، فنور الصبر يخرج عند اللحظة التي يشعر فيها المؤمن بالاصطدام غير المتوقع دون تمهيد أو توطئة؛ ذاك أن ظهور الصبر في تلك اللحظة آية وإمارة على الصبر الكامل الذي يثاب عليه المؤمن، فيلزم من وجود الصبر حسن الاستعانة به في أصعب اللحظات التي تكشف عن وجوده وهي الصدمة الأولى، فتظهر علاقة التلازم بين الحديثين من هذا المنطلق بما يبين عن أواصر الصلة بينهما.

وهناك أيضا ثمَّة تناسب وتلازم بين الحديثين، فحديث(إنما الصبر عند الصدمة الأولى) بمكانة التطبيق العملي لتلك القوة الداخلية، فهو كالمبين المحس الكاشف عن وجود الصبر في نفس المؤمن.

---

(١) سبق تخريجه، ص٢١ .

وامتدت علاقة التلازم بين الأحاديث في كشف حجب المعنى، فأبانت عن مناط الاتساق بينها وبين حديث جذر المعنى (الصبر ضياء)؛ حيث لزم كل منها هذا الأصل، فالصبر لما كان ضياء المؤمن وقوته التي تعينه على التحمل والثبات أمام المصائب والابتلاءات، لازم عن هذا الصبر أن يؤهله لحسن التعامل مع ما يعرض عليه في حياته من نوائب ومصائب تروح وتغدو عليه، فيتحقق من صبره ورضاه وقوة إيمانه ما يعينه على تلك النوائب فيكتب له الأجر والثواب، وتذهب عنه النوائب، فيستقيم حاله وتعتدل وتستوي حركته في الحياة، حاله في هذا حال الخامة من الزرع تحسن التعامل مع الريح التي تفيؤها فتنقاد لها بفضل ليونتها، وتلك الليونة قوة ذاتية داخلية تعينها على مواجهة هبوب الرياح بما يحقق صلاحها، ويقيم عودها، ومن هنا يبدو التلازم والتناسب بين جملة (الصبر ضياء) الذي هو جذر المعنى والمعنى الممثل له في حديث: (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع)؛ حيث اتخذ البيان النبوي من التصوير في التشبيه التمثيلي سبيلا لكشف المعنى، وتقريبه إلى المتلقي، مترقيًا من المعنى العقلي إلى المعنى المحس الذي يرتكز في الطبع ويستقر في النفس، فالحديث يكشف عن فضل الصبر، وأثره في تحقق النفع والصلاح، فعلاقة التلازم هنا بادية تبين عن الترابط بين اللازم والملزوم، فكل منهما يستدعي الآخر ولا ينفك عنه.

ويعتبر التلازم من أوثق العلاقات، وأكثرها ترابطًا وتلاحمًا، فاللازم يستدعي ملزومه قطعا لاينفك عنه، وهو ما سار عليه النظم النبوي في كشف المعنى في حديث (أفضل الإيمان: الصبر والسماحة) فالتلازم باد من أول الحديث بين مفرداته الصبر والسماحة، فضلًا عن علاقة التلازم بينه وبين حديث: (الصبر ضياء) فقوة الصبر الذاتية تعين المؤمن على فعل الطاعات، وتنقاد به النفس في الحبس عن المعاصي بما يؤول إلى النفع والصلاح، وهذا

يلزم عنه أن تكون تلك القوة هي أفضل القوى التي يتقوى بها المؤمن، ويتعضد بها الإيمان، ومن ثمَّ لزم أن يكون الصبر أفضل الإيمان، ويتصل هذا النظم النبوي بحديث(ما أُعطي أحدُ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر) من خلال التلازم أيضا؛ فعظم خيرية وسعة عطاء الصبر يلزم عنها أن يكون الصبر من أفضل الإيمان.

وبذلك تترابط الأحاديث وتتكامل معا؛ لتبين عن المقصود في أبلغ لفظ وأتم تركيب متسقٍ في معانيه، منتظم في ألفاظه، متلاحمٍ بروابط وعلاقات تكشف عن صلة القربي والرحم بين المعاني، بما يعطي للمتلقي صورة متكاملة عن الصبر ماهيته وفضله وحسن أثره وجميل عطائه.

التلازم في بنية الأحاديث:

حديث: (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ):

ومبنى الحديث على بيان ماهية الصبر، فهو"حديث عظيم وأصل من أصول الإسلام، اشتمل على مهمات من قواعد الإسلام"(١) والحديث جمع بين ثماني جمل أبانت عن أصول الإسلام، وأعربت عن المنهج الذي ينبغي للمسلم السير عليه حتى يضمن النجاة من الهلاك، وجاءت جمل الحديث الشريف على حذو تركيبي واحد وهو الأسلوب الخبري، فأبانت عن الترابط والتلاحم وكشفت عن مناط الاتساق بين المعاني، والأسلوب الخبري هو الأسلوب المهيمن والمسيطر على الحديث؛ ذاك أنه يقرر حقائق عقدية.

ويظهر للمتلقي حسن الانتقال بين جمل الحديث، فكل جملة امتدادٌ للجملة التي قبلها، فالجمع بينها جمع بين الأخوة الأشقاء، فلا تجد النفس فجوة في الانتقال، فالجمعُ بين الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان

(١) يراجع صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء،١٢٥.

الله والحمد لله تملأ ما بين السموات والأرض جمعٌ بين مؤتلفات، وهذا يظهر من خلال تفسير الطهور بأنه تطهير القلب مما يعلق به بما يعيق تلقيه عن الحق سبحانه وتعالى، وهذا التفسير يميل إليه البحث، وذهب الإمام النووي إلى أن من المعاني المقصودة للطهارة هنا الوضوء(١)، وتفسير الطهارة بالوضوء يجعل المقصود بالإيمان هو الصلاة وهذا ما ذكره النووي، وهذا يجعل في الحديث مظنة التكرار؛ حيث ذكرت الصلاة في قوله: (والصلاة نور).

والذي يميل إليه البحث هو أن المراد بالطهارة هو تطهير القلب من الآثام، وهو شطر الإيمان العقدي، فتكون الجمل الثلاث الأُوَل جملًا تبين عن تطهير قلب ونفس المؤمن، وتعرب عن التوحيد بتطهير النفس وحمد الحق سبحانه وتعالى والثناء عليه وتنزيهه عن أي نقص، وتلك أفعال قلبية نفسية يظهر بينها لحمة الترابط وأواصر الصلة.

فتطهير القلب وتخليه عن الآثام هو شطر الإيمان، والثناء على الحق بحمده على نعمه وآلائه تملأ الميزان، فهو ذكر ينبع عن عقيدة ونفس مؤمنة بربها، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض، وزادت الجملة الثالثة عن الجملة الثانية في العطاء فكلاهما ذكر وحمد وثناء على الحق إلا أن الجملة الثالثة أمتازت بعطاء زائد؛ حيث جمعت بين الثناء والتحميد تنزيهه سبحانه وتعالى عن أي نقص، وعن الاحتياج إلى الغير، وفي هذا دلالة واضحة على يقين إيماني، فتنزيهه سبحانه مع حمده على نعمه أبان أنه حمدٌ آخر غير الحمد الأول، فهو حمدٌ يقيني سكن واطمأن فيه كامل اليقين والرضى والإذعان والتسليم بأقدار الحق سبحانه وتعالى، حمد عن إقتناع بحكمة الحق في جريان الأقدار على الأغيار؛ لأنه جمع بين التنزيه والتحميد، لذا ارتقى وزاد في ثوابه عن ثواب الحمد الأول، فجزاؤه أعظم وأعلى يملأ ما بين السماوات والأرض.

(١) يراجع المصدر السابق نفسه،١٢٦

والجمل الثلاث الأُوَل تبين عن أفعال باطنة أو داخلية، انتقل النظم العليُّ منها إلى الأفعال الظاهرة التي أبانت عنها الجمل التالية:(وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ) والتناسب بين الجمل يظهر للمتلقي من خلال النظر في المسند، النور–البرهان–الضياء، فأعرب هذا الإسناد عن أواصر الصلة والاتساق بينها، فالصلاة نور يبين للمسلم طريقه، فيلتزم بالطاعات ويبعد عن المعاصي، والصدقة برهان دليل على عقيدة إيمانية التزمت بطريق النور المؤدي إلى الطاعات، والصبر ضياء منبع هذا النور الذي يظهر بالالتزام بالصلاة، وهو المعين للمسلم على ظهور هذا البرهان، ومن ثم تظهر علاقة التلازم بشكل جلي بين الجمل الثلاث، فالصلاة نور ويلزم عن هذا النور ضياء يعكس هذا النور، وهذا الضياء هو الصبر.

وجملة (الصبر ضياء) جملة مؤسسة لمعنى الصبر، مبينة عن ماهيته، بنيت على إيجاز القصر؛ لأنها تضمنت المعاني التي يحويها الصبر، وأعربت عن فضله وعظيم أثره، فهي تحوي الكثير من المعاني الجليلة، ومن دقائق البيان في النظم العليِّ مراعاة التناسب بين الألفاظ والمعاني، وهو ما يعضد من إفادة التلازم بينهما، ومن ثمَّ أؤثر التعبير عن الصبر بكونه ضياء؛ وذلك للدلالة على كونه قوة داخلية تعين المرء على الطاعات وتمنعه عن المعاصي، وتعينه على مواجهة الصعاب والابتلاء والمكاره، لذلك فهو ضياء داخلي يشع نورًا يظهر في أفعال الجوارح، ضياء يرتقي به المؤمن وتستقيم به حركة حياته؛ ذلك أن" الضياء تصحبه الحرارة والدفء، والنور إنارة حليمة، كذلك النور هو ضوء ليس فيه حرارة، والحرارة تنشأ حين يكون الضوء ذاتيًا من المضيء مثل الشمس، أما القمر فضوؤه غير ذاتي، يكتسب ضوؤه من أشعة الشمس حين تنعكس عليه، فهو مثل المرآة حين تسلط عليها بعضًا من الضوء فهي تعكسه"[١].

(١) تفسير الشعراوي – الخواطر، المؤلف: الشيخ محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ٥٧٣٨/٩ .

ومن ثم تظهر من خلال الاستناد إلى هذا الفرق اللغوي بين الضياء والنور علاقة التلازم بين الجمل الثلاث، فالصبر قوة داخلية ذاتية يظهر أثرها في العبادات والسلوكيات، فيلزم من وجود ضياء الصبر نور الصلاة، وبرهان الصدقة، فالعلاقة بينها علاقة تلازم، فتلك القوة الداخلية هي الرافد المعين على الطاعات، كما يظهر للمتلقي التلازم التام بين الصلاة والصبر؛ حيث التلازم والتناسب بين النور والضياء، فالصلاة فعل جوارح ظاهري أبان عن وجود ضوء داخلي يستقي منه المؤمن نور هذا الفعل.

وإسناد الصلاة إلى النور تشبيه مفرد، شبهت الصلاة فيها بالنور، وإسناد الضياء إلى الصبر أيضا تشبيه مفرد، أبان عن ماهية الصبر، كذلك إسناد البرهان إلى الصدقة، فالتشبيه عانق التلازم بين المعاني في إظهار روابط الصلة بين معاني الحديث، وقدمت الصدقة على الصبر لاقترانها بالعبادة البدنية في كثير من آي القرآن الكريم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٢٧٧)، فالصلاة والصدقة عبادات ظاهرية، تقوم بها الجوارح؛ لذا تأخر عنهما رافدهما ومنبع النور والبرهان فيهما.

ثم انتقل البيان النبوي إلى المنهج الذي يستقيم به أمر المؤمن؛ لاشتماله على الشرائع والهداية والنور المبين، وذلك في قوله:(وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ)، وبنيت الجملة على التضاد القائم بين قوله (لك) وقوله(عليك)، ويبدو ظاهرا التناسب الجلي بين الحجة والبرهان.

واختتم النظم النبوي بحكمة محمدية وضياء نبويٍّ يبين عن المعنى المقصود في مختصر لفظ وبليغ معنى، وذلك في قوله:(كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْمُوبِقُهَا)، والجملة بنيت على أسلوب التقسيم فعرض المعنى من خلال التدرج بين الاجمال والتفصيل القائم في التقسيم؛ حيث استوعبت الجملة أنواع الناس في

تلقي تلك الأصول الإسلامية العظيمة في البيان العليِّ، فقوله:(كل الناس يغدو) مجمل تم تفصيله من خلال التقسيم القائم على بيان مناط الغدو ومآله (فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْمُوبِقُهَا) فمنهم من يبيع نفسه لله فيكون مآل هذا البيع الفلاح والعتق من نار جهنم، ومنهم من باع نفسه لشهوات الدنيا الزائلة الفانية فأهلكها وجعل مآلها العذاب المهين، وبني التقسيم على التقابل، وهو أساس من أسس التناسب بين المعاني، ومظهر من مظاهر الاتساق بينها، فهما يتناسبان ويتآلفان بهذا التضاد، والتقابل هنا أظهر الفرق بين الحالتين، فحازت الحالة الأولى الفضل والشرف والرفعة والنجاة فقدمت في الذكر؛ حيث الالتزام بتلك الأصول، والحالة الثانية تأخرت في الذكر وانحطت في المكانة بالهلاك، وبنيت على الحذف إعراضًا عن التصريح بها والتقدير فبايع نفسه فموبقها.

وجاء التفصيل على أسلوب التقسيم بعد الجمع العائد إلى قوله: (كل الناس يغدو)، ولفظ يغدو أبان أن مآل المرء إنما يكون إلى ما يغدو ويسعى ويتحرك إليه، والفاء في قوله:(فبايع) فاء التفصيل وهي رابط لفظي أبان عن الترابط والاتساق بين طرفي الجملة، وقد تفيد معنى التفريع على المعنى المقصود، فالمرء يسعى ويتحرك، فإما أن يسعى إلى الخير والفلاح الذي يسكن في الأصول التي صدر بها الحديث، أو أن يسعى إلى شهوات نفسه وملذات ذاته فيهلكها ويفسدها.

ومن خلال ما سبق يتبين للمتلقي مناط الاتساق بين المعاني في النظم النبوي الشريف، فالحديث في سياقه التركيبي انتقل من الباطن إلى الظاهر ثم إلى الوسيلة التي يستعين بها المؤمن على فعل الطاعات، ثم كشف الحجب عن المنهج والحجة التي ينبغي التمسك بها، فالترابط بين الجمل ظاهر وواضح، فهي من المتناسبات المؤتلفات التي تقف النفس على الاتساق بينها بشكل ظاهر.

حديث: (اتَّقِي اللَّهَ واصْبِرِي):

وقوامُ هذا الحديث الكشف عن الصبر المحمود المأجور الكامل، الذي يستعين به المؤمن على الثبات عند وقوع ما يهجم على القلب والعقيدة من مقتضيات الجزع والسخط، والحديث هنا يتصل بالحديث الأم(الصبر ضياء) من خلال علاقة التلازم التي تكشف لحمة النسب والارتباط بين المعاني في النظم العليِّ، فالحديث هنا تطبيق عملي مبين لقوة الصبر– الضياء الداخلي الذي يشع نورًا في الجوارح، وجملة(إِنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى) هي عمود المعنى في البيان النبوي؛ حيث أبانت عن الصبر المأجور الذي يتعين تخلق المؤمن به عند تلقي مثل هذه الابتلاءات العظيمة التي يفقد فيها ما يعز عليه فقده.

وقوله (اتَّقِي اللَّهَ واصْبِرِي) توطئة وتمهيد لبيان الصبر المقصود، وهو الصبر المعين على التحمل والثبات، وربط بين قوله (اصبري) وقوله (اتقي الله) برابط لفظي وهو الواو لما بينهما من التوسط بين الكمالين، فقد اتحدتا في الإنشائية لفظا ومعنى مع وجود جامع سوغ العطف بين التقوى والصبر، فالصبر بسبب من التقوى ومتصل به؛ ذاك أنه وسيلة للتقوى التي هي اتقاء غضب الرحمن الذي ينشأ بسبب الجزع والسخط وعدم الرضى، فالصبر وسيلة تحقق التقوى، ويمكن أن تكون العلاقة بينهما علاقة غائية فأحد الأمرين غاية للآخر، فالتقوى غاية الصبر.

وحق الصبر الذي أبان عنه البيان النبوي الشريف بأنه ضياء أن يتحقق وجوده أول تلقي المصيبة، فهو الذي يترتب عليه الثواب والأجر، وأمر النبي(ﷺ) للمرأة خرج مخرج النصح والإرشاد إلى ما ينبغي عليها فعله، وذاك الأمر يُشعِرُ بأنه سمع منها ما يدل على خلاف التقوى والصبر، أو أنه خشي عليها عدم التقوى لشدة حزنها وبكائها يعضد ذلك قولها:(إِلَيْكَ عَنِّي؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي)، والفاء في قوله:(فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي) سببية ربطت مابعدها بما قبلها، وكشفت عن سبب عزوف المرأة عن أمر الرسول(ﷺ)، وهي

لم تكن تعرفه، وعندما أخبرت به توجهت إليه معتذرة عما كان منها، وقوله:(فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ) أبان عن عذر المرأة في كونها لم تعرفه(ﷺ)؛ وذلك" لأنه كان من شأنه (ﷺ) أن لا يتخذ بوابًا مع قدرته على ذلك تواضعًا"[١].

وجاء جواب النبي (ﷺ) عن عذر المرأة من خلال أسلوب الحكيم[٢] موجهًا إياها لما كان ينبغي عليها أن تفعله إزاء تلك المصيبة، ومن دقائق النظم النبوي وبديع لفظه القالب الذي صبَّ فيه جواب النبي(ﷺ) وهو قوله: (إِنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى) بأسلوب القصر بإنما، وهذا من لطائف البيان الشريف؛ حيث صيغ القصر بإنما مسلمة لا ينازع فيها، فحسن استعمال إنما؛ حيث أنها تستعمل في الأمر المعلوم الذي لا يرد ولا يشك فيه[٣]. فالصبر الذي يثاب عليه هو الصبر عند أول الاصطدام بالمصيبة، والقصر في البيان النبوي يقرر ويؤكد مضمون الكلام، ويظهر كمال العناية بهذا الصبر المأجور.

ويظهر للمتلقي وضوح علاقة التلازم بين طرفي الحديث؛ فيلزم من وجود قوة الصبر ظهورها بشكل عملي عند اصطدام القلب بالنوائب والمصائب، فأبان هذا التلازم عن أواصر الصلة بين معاني الحديث وتكامل النظم في بيان المعنى.وتسكن الاستعارة في نسيج القصر فتساهم في كشف حجب المعنى؛ حيث استعار الصدمة لارتطام القلب عند تلقي المصيبة استعارة تصريحية أصلية،

---

(١) ينظر فتح الباري صحيح البخاري، ١٤٩/٣.

(٢) أسلوب الحكيم: هو تلقي المخاطب بغير ما يترقّبهُ، ينظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ٣١٩.

(٣) يراجع دلائل الإعجاز ، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط١٤١٣/٣هـ-١٩٩٢م،٥٧.

جسمت أثر تلقي القلب لتلك الفاجعة في صورة محسة كشفت عن شدة وقع المصيبة على القلب.

حديث:(مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ)[1]:

يهدف الحديث إلى بيان فضل الصبر وأثره على المؤمن في تحمل الصعاب، وحسن تلقي الأقدار عن رب العباد، وهذا المعنى أمر عقلي أخرجه البيان النبوي الشريف في معرض المحس المشاهد عن طريق التمثيل، وكشف التشبيه التمثيلي عن المعنى من خلال علاقة التلازم بين المعنى الممثل له والمعنى الممثل به، فالتلازم آتٍ من جهة أن المعنى الثاني بيانٌ للأول ولازم عنه، والكاف رابط لفظي بينهما.

وقد اتخذ البيان العليِّ من القياس بالمثل المحس سبيلًا لإقناع المتلقي، فهو يكسب النص وظيفة إقناعية خالصة؛ ذاك أن "الإدراك من خلال الأفعال والحركات التي لا تراها العين بالكلمة، وإنما تراها وهي تقع أحداثًا حية في الوجود،.. أعلى وأقدر على بث المعاني وإقناع النفوس بها"[2]، فالمؤمن في إيمانه بحكمة الخالق في جميع أقداره، وما يعرض عليه من سراء وضراء ومصائب وابتلاءات ينطاع فيها لأوامر ربه سبحانه وتعالى، فيستقبل السراء

---

(١) تُفَيِّئُها: تُحَرِّكُها وتُمِيلُها يميناً وشِمالاً، لسان العرب مادة(ف، ي، أ)/ الأرزة: "بفتح الهمزة وقيل بكسرها وسكون الراء بعدها زاي كذا للأكثر، وقال أبوعبيدة: هي بوزن فاعلة أي الثابتة في الأرض، وقال أبو حنيفة الدينوري: وهو ليس من نبات أرض العرب ولا ينبت في السباخ، بل يطول طولاً شديدا ويغلظ، وقيل الصنوبر، وقيل أنه لا يحمل شيئا وإنما يستخرج من جذروه وعروقه الزفت" ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٠/١٠٧/ انجعافها: الجيم والعين والفاء أصلٌ واحد، وهو قَلْعُ الشيء وصَرْعُه، مادة (ج، ع، ف) مقاييس اللغة.

(٢) التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، الدكتور محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٧م،١٨٤.

بالشكر والتحميد، ويستقبل المصائب والابتلاءات بالصبر والرضى، ويتقوى بالضياء الداخلي المنصوص عليه في قوله: (الصبر ضياء)، فيكون له عظيم الأجر والثواب من رب العالمين، حاله في هذا حال الخامة من الزرع تأتي عليها الريح فتميلها يميناً ويسارًا تارة، وتذهب عنها تارة فما يكون من الخامة إلا أن تتلطف معها، وتميل بفضل ليونتها، فيستقيم عودها إثر ذهاب الريح عنها، ووجه الشبه هنا هو الهيئة الحاصلة من حسن الانقياد والتسليم لقوة خارجية لا ترد بما يحقق المنفعةَ ويحدث الاستقامة.

ومن لطائف هذا التشبيه التمثيلي صورة المعنى التي مثل بها حال المؤمن في تلقيه لأقدار ربه؛ حيث انتخب له البيان الشريف لفظ الخامة، بما ينبيء عن طيب المنبع، فهو غض طري كغض النبات، وذلك بحسن إيمانه وحسن تلقيه عن ربه، وما يتقوى به من قوة داخلية هي قوة الصبر الذاتية، والحديث يكشف عن فضل الصبر من خلال علاقة التلازم بين طرفي التمثيل؛ فالمؤمن عندما يواجه الابتلاءات التي تعرض له، فينقاد لها بحسن صبر ورضا ويقين بربه يكون له عظيم الأجر والثواب، فينكشف هذا البلاء ويعتدل حاله مرة أخرى كحال النبات تفيؤها الريح وترجعها عن اعتدالها وتميلها يمينا ويسارا فتنقاد لها بما يستبقي صلاحها، فالصبر وما يلزم عنه من الرضى وقوة الثبات هو مناط الانصياع للابتلاء.

وعبر النظم النبوي عن البلاء في جانب المؤمن بالريح وهي ابتلاء في جانب النبات، ومن لطائف البيان انتخاب لفظ الريح مما ينبيء عن سرعة زوال الابتلاء وعدم استمراره، كذلك يكمن في هذا التشبيه التمثيلي سنة كونية وعقدية كشف الحديث عن الترابط والتلازم بينهما، فكما أن هبوب الرياح على الخامة من الزرع واستقامة عودها بحسن تعاملها مع الريح وليونتها سنة كونية، كذلك ابتلاء المؤمن بالابتلاءات سنة عقدية، تبين عن رحمة الخالق بعباده المؤمنين،

وتختبر جميل صبرهم، وتعضد من قوة إيمانهم، وتكتب لهم الثواب وتحط عنهم الخطايا.

والمؤمنون في تلقي البلاء نوعان: نوع ينظر إلى الأجر فيحمد الحق سبحانه وتعالى عليه فيكون ثوابه بفضل الله ما يملأ الميزان، ونوع آخر تطمئن نفسه إلى هذا الابتلاء ليقينه بحكمة مجريه عليه، فيحمد ربه حمد الرضى ليقينه بحكمة ربه المنزهة عن أي نقص، فيكون حمده حمدًا ممتزجًا بتنزيهه سبحانه وتعالى، فيحصل له من الأجر والثواب بفضل الله ما يملأ السماوات والأرض، وهذا وفق ما جاء في حديث (الصبر ضياء)(١).

والتصوير الحركي في البيان النبوي من لطائف التعبير، وذلك في صورة الريح وهي تفيؤ الخامة وتحركها يمينا ويسارًا، فإذا ما سكنت الريح اعتدل النبات على سوقه، كذلك المؤمن في تلقيه وتعرضه لأقدار ربه وما يعرض عليه من أمور متغيرة غير مستقرة، ويظهر للمتلقي أثر الصورة الحركية في الإقناع بالمعنى؛ ذاك أنها " أقوى من غير شك فى الدلالة على المعنى والإحساس به من الصور البرهانية العقلية التى تدعو إلى الإقناع"(٢).

ولمزيد من كشف حجب المعنى وإبانته جمع النظم الشريف بين تلك الحالة الممثلة للمؤمن الصابر الراضي بأقدار ربه عليه وحالة أخرى يظهر بينهما المقابلة القائمة على التضاد، وتلك العلاقة من أبرز وسائل الترابط والتماسك النصي وإظهار المعنى، فالضد يظهر حسنه الضد؛ ذلك أن "مثول حالة الضد إزاء ضده يوقع المتقابلات من النفس موقعًا عجيبًا"(٣).

---

(١) سبق تخريجه، ص٢١.

(٢) الصورة الفنية فى شعر امرىء القيس ومقوماتها اللغوية والنفسية والجمالية، سعد أحمد الحاوى ،٩، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض المملكة العربية السعودية، ط١،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٣) يرا جع منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ت: محمد الحبيب بن الخوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣/١٩٨٦م،٤٥.

والمقابلة من مناط الاتساق بين المعاني وأساس من أسس التناسب؛ حيث يظهر من خلالها تأليف المختلف، وهو ماذكره حازم القرطاجني، فالتقابل في حقيقته" توفيق بين المعاني التي تقابل بعضها بعضًا، فيذكر أحدهما مع الآخر من جهة ما بينهما من تقارب وتباين،... فإذا وضع أحد المعنيين بهذه الصفة بإزاء الأخر ومقابل له، كان الكلام بذلك مطابقًا بعضه بعضًا، ومنتسبًا آواخره إلى أوله، فكان للكلام بذلك حسن موقع من النفس"(١).

وهذا يظهر من خلال النظر في حال الطرف المقابل للمؤمن؛ حيث شبه حال المنافق في عدم انقياده وانصياعه لابتلاءات ربه، ووقوفه إزاءها بالجزع والسخط صامدًا لا تتغير حالته، أجوفًا لا يتعقل قلبه ولا يتعظ ولا تقوى عقيدته، بحال الأَرْزة التي لا تتأثر بما يعرض عليها من هبوب الرياح فلا تلين لها بل تظل على حالها، فتضعفها الرياح شيئًا فشيئًا حتى يكون هلاكها مرة واحدة بإذن الله، وذلك بجامع الهيئة الحاصلة من الصمود والثبات أمام قوة خارجية بما يحقق الهلاك ويخلف التلف والفساد.

والحديث مبنى على التضاد القائم بين المؤمن والمنافق، ومآل حسن تلقي المؤمن للابتلاءات وسوء تلقي المنافق لأقدار ربه، وتأتي براعة اختيار لفظ الأَرْزة في بيان حال المنافق وذلك لما تحمله الأَرْزة من صفات تتناسب وتتلاءم مع حال المنافق، فالمنافق لا يتأثر بأقدار ربه عليه، فهو يابس النفس غليظ القلب، أجوف، لا يحمل خيرًا لنفسه ولا لغيره مثل تلك الشجرة الصماء التي تنشأ في أرض صلبة يابسة.

وبإزاء تلك المقابلة القائمة بين الحالتين في المآل يسكن التضاد بين الحركتين في التشبيه التمثيلي في النظم النبوي، فحركة النبتة الخامة من الزرع التي

(١) المصدر السابق نفسه ، ٥٢وما بعدها.

تفيؤها الريح مرة وتعدلها مرة أخرى، يظهر فيها التمايل والتأرجح في اتجاهات مختلفة مآلها الاعتدال والاستقامة، وهذا يمثل حال المؤمن وما يعرض له من ابتلاءات وأقدار يتلقاها بالصبر والرضى فيؤول حاله إلى الخير والفلاح، والحركة المقابلة وهي المعبر عنها في قوله: (انجعافها) وهي حركة جارفة شديدة مهلكة، فيها كسر وقلب للشيء وقلعه من جذوره، فالحركة الأولى يسكن فيها الليونة والانقياد بما يحقق النفع والصلاح، والحركة الثانية فيها شدة وقوة ومآلها الهلاك والتلف.

وبذلك يظهر للمتدبر المشهد التقابلي النصي في النظم العليِّ، وهو سمة أسلوبية تبين عن الترابط بين المشهدين من خلال التضاد في النسق التركيبي، وهو بدوره يمثل" الوقوف على آلية الحدس الفني والاستدلالي التي تسهم في ربط الإبداع الفني في النظم بالمعادل الموضوعي والنفسي الذي يؤثر على المتلقي"(١)؛ ذاك أن التقابل"يبرز الأشياء، وتتأكد به المعاني، ونجد لها إلى الوجدان سبيلًا، فتثبت ويقر قرارها، فالضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتميز الأشياء ويبدو تأثيرها"(٢).

ويظهر للمتلقي الاتساق والصلة بين اعتدال حال المؤمن بالصبر والاحتساب عند البلاء –الممثل له بالخامة من الزرع– والخير المنصوص عليه في حديث(إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)(٣)، فالاعتدال صورة من صور

(١) يراجع ظاهرة التضاد في سورة الأعراف وأثرها في إيصال المعنى، هادي حسن محمد، مركز دراسات الكوفة، العدد الحادي والثلاثون، ٢٠١٣م،٣بتصرف.

(٢) من بلاغة النظم القرآني دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم، د.بسيوني عبدالفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١٤٣١،١هـ-٢٠١٠م،٣٣٠.

(٣) سبق تخريجه، ص٢١.

الخير، وليس فيه إلا الخير، فالأحاديث تترابط وتتسق معانيها وتتكامل في بيان مقصودها بما يبين عن إعجاز بلاغتها، وحسن تكامل بيانها. كما يظهر للمتلقي وضوح علاقة التلازم بشكل واضح في البناء التركيبي للحديث، وأثرها في كشف أثر الصبر، كما يجلو الترقي في الأسلوب من المعنى العقلي إلى الصورة المحسة المشاهدة، وهذا سبيل الإقناع في النفوس والعقول.

حديث: (الصّبر والسّماحة):

يعرب الحديث الشريف عن أفضل الإيمان من خلال الجمع بين خلقين يحتاج إليهما المؤمن في مقامات الدين، وجمع النظم النبوي بين هذين الخلقين من خلال العطف بين الصبر والسماحة برابط لفظي وهو الواو، والذي أبان عن لحمة الارتباط بين المفردات، فالعطف بين الصبر والسماحة أعرب عن كمال اتصاف أفضل الإيمان بكل منهما على حدة.

والسماحة بسبب من الصبر ومتصلة به، وذلك لدخولها في الصبر من باب التضمين، فالصبر عام يشمل الصبر على فعل الطاعات والصبر عن المعاصي وحبس النفس عن محارم الله، والسماحة تلزم اليسر والسهولة واللين والرفق والبذل والسخاء، وهي مما يحتاج إليها المؤمن للقيام بالعبادات والطاعات المأمور بها، وهذا يبين عن الترابط بينهما.

كما تجلو علاقة تلازم بينهما، فيلزم من السماحة وجود الصبر، فهي لازمة له تتطلب وجوده، وقدم الصبر على السماحة؛ لأنه أصل وهو يتطلب جهدًا، فمن لاصبر له لا يقاوم شهوات نفسه، فلا تنقاد نفسه لأوامر ربه، فيقع في المعاصي، ومن لا سماحة عنده لا يقوم بفعل الطاعات، ولا يستجيب للمكارم والفضائل، فإذا ما دعيت نفسه لفضيلة عزفت وتمردت، ومن هنا تتضح لحمة الترابط والاتساق بين الصبر والسماحة. وبذلك تظهر بنية التلازم بين مفردات الحديث في كشف معناه والوقوف على مراده.

وتأسيسًا على ما سبق يظهر للمتلقي الاتساق بين معاني النظم الشريف بما يبين ويرسخ في عقل المؤمن ونفسه ماهية الصبر، وأثر التخلق بتلك الفضيلة، وعظيم أجرها عند الحق سبحانه وتعالى.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدى ويسر وأعان ووفق، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد ﷺ، وبعد هذا التطواف والسير في رياض أحاديث النبي ﷺ عن الصبر، وارتقاء الروح معارج أساليب البيان العليِّ، أثمر البحث عدة نتائج، هي:

- عالج النظم الشريف معنى الصبر المأجور، وأبان عن ماهيته وفضله وأجره، واختصاص المؤمن به دون ماعداه في نظم بديع جمع فيه بين المؤتلف، وناسب بين المختلف من خلال دقة نظمه، وبديع تركيبه، وقوة بيانه.
- برع النظم النبويُّ في خصائصه ولطائفه وانتخاب ألفاظه بما يكشف عن قوة بيانه، ويظهر قوة الاتساق والارتباط بين جمل الحديث ومعانيه، وانتساب بعضه إلى بعض.
- ظهر في البناء التركيبي للحديث النبوي عن الصبر الاتساق والارتباط بين جمل الحديث، حيث أبانت الروابطُ اللفظيةُ بين الجمل عن قوة السبك في النظم العليِّ ومنها العطف بالواو والفاء وثم، والشرط وغيره، وتولدت عنها دلالات أبانت عن لحمة الارتباط والاتساق بين الجمل، وتعالق بعضها ببعض، وأخذ بعضها برقاب بعض وصولا إلى المراد على أكمل وجه وأتم بيان.
- أبانت علاقاتُ المعاني بين الأحاديث المتناوِلة معنى الصبر قوةَ الدلالةِ وحسنَ البيانِ، وذلك من خلال الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال، والترقي في الأسلوب وغيرها من علاقاتٍ أبانت عن البلاغة العليِّة في النظم الشريف بما يؤثر في عقل ونفس المتلقي.
- وظفت الكثيرُ من الأساليبِ مثل الأسلوب الخبري والإنشائي، وأسلوب الشرط والتقسيم، والقصر بالنفي والاستثناء وإنما في إقناع المتلقي واستمالته؛ ترغيبًا لنفس المؤمن في الصبر المأجور، والكشف عن عظيم فضله وأثره على حياة المؤمن.

- رصد البحثُ حركةَ المعاني بين أحاديث الصبر وتدرجها في تناسب وتلاؤم وتتابع أبان عن تكامل المعاني، وحسن تلاقيها في إطار بديع وظفت فيه العلاقات والروابط لإدراك الاتساق في النظم العليِّ.
- تتابعت المعاني في بنية أحاديث النبي ﷺ عن الصبر وتدرجت في تكامل تام أبان عن الصبر المأجور ماهيته وفضله وأثره، سلكت المعاني في هذا التدرج والتتابع عدة مسالك أعربت عن مناط الاتساق بينها وصلة الرحم وأواصر الصلة.
- المقابلة من مناط الاتساق بين المعاني، وأساس من أسس التناسب بينها؛ حيث يظهر من خلالها الاستناد إلى التضاد في تأليف المختلف، وجعل المعاني تقع في النفس موقعًا عجيبًا.
- اتخذ النظم العليُّ من التصوير البياني وسيلةً رئيسةً في الكشفِ عن العلاقاتِ بين المعاني، كما اتخذ منها طريقًا بديعًا للنفاذِ إلى نفس المتلقي وقلبه، والتأثيرِ فيه بما يحقق النفعَ والصلاحَ، وتستقيم به حركة المؤمن في الحياة.
- بدت علاقة التلازم بين المعاني تكشف عن أواصر الصلة بين الأحاديث النبوية عن الصبر وداخل البنية التركيبية لجمل الحديث الواحد، فالمعاني يلازم بعضها بعضا، ويستدعي بعضها بعضا، وتتكامل وتتشابك في إظهار معنى الصبر المأجور، الذي ينجي المؤمنَ من الهلاك، ويوصل إلى تقوى الله عزوجل.
- أفصحت العلاقاتُ بين المعاني في النظم الشريف عن وجهٍ من وجوه جوامعِ الكلم، وهي خصيصةٌ امتازت بها البلاغةُ النبويةُ في بديع لفظ وبليغ معنى.

هذا ويوصي البحث بلفت نظر الباحثين في البحث البلاغي إلى بحث الاتساق والارتباط في البلاغة النبوية، والكشف عن علاقات المعاني في النظم العليِّ، من خلال دراسات علمية منهجية تكشف عن وجه من وجوه علو البلاغة النبوية،

وتأصل لقواعد العلم وفروعه، وتفيض مع شراح الحديث في بيان غيض من فيض بيان الوحي في الحديث الشريف.

كما يوصي بالترغيب في ضرورة التحلي بالصبر بما يعين المسلم على حسن التلقي عن الله، وحسن الوقوف على مواطن الفعل والترك في منهج السماء.

أثر الصبر في علاج الانحرافات الإخلاقية في المجتمع بالصبر على الطاعات والبعد عن المعاصي.

وبعد، فلا أدّعي أنني قد بلغت الغاية في بحثي؛ فقد حاولت إبانة مناط الاتساق بين المعاني في حديث النبي ﷺ عن الصبر، وهذا جهدي قد بذلت فيه ما أمدني الله به من طاقةٍ وجهدٍ. فإن وفقت في تلك المحاولة، فالفضل كلُّ الفضلِ لله، وإن كانت الأخرى فمن نفسي ومن الشيطان، وحسبي أنني حاولت.

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ثبت المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم: جل من أنزله.

- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط٣.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط١، ١٣٧٦ه ـ – ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاؤه.
- البلاغة العربية، عبدالرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.
- البيان النبوي، د. رجب محمد البيومي، دار الوفاء بالمنصورة، ط١، ١٩٩٧م.
- البيان والتبيين، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- تحليل الخطاب، بروان ، يول، ترجمة وتعليق د. محمد لطفي الزليطني، د. منير التريكي، جامعة الملك سعود.
- التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، ١٤٣٠هـ–٢٠٠٧م.

- التعريفات، للجرجاني (ت٨١٦هـ)، دار الكتب بيروت-لبنان،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- تفسير الشعراوي – الخواطر، المؤلف: الشيخ محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم.
- التناسب في تفسير الرازي، دراسة في أسرار الاقتران، د. منال مبطي حامد المسعودي، إشراف أ.د/ محمد أبو موسى، جامعة أم القرى،١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، دار التربية والتراث – مكة المكرمة، ٥٢٥/٨.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، ضبط: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) ضمن شروح التلخيص، محمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت.
- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي،عالم الكتب الحديثة، إربد-الأردن،ط٢/١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، تحقيق عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط٣/١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- رسالة المباحث المرضية المتعلقة بـ (من) الشرطية، عبد الله بن يوسف جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: د.مازن المبارك، دار ابن كثير – دمشق / بيروت،ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

- سبل استنباط المعاني من الكتاب والسنة دراسة منهجية تأويلية ناقدة، د.محمود توفيق محمد سعد،ط، مكتبة وهبة، القاهرة ، ١٤٤٢هـ-٢٠٢١.
- سراج المريدين فى سبيل الدين، الاستنارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات الدينية والدنيوية بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية وهو القسم الرابع من علوم القرآن في التذكير، إملاء: أبو بكر محمد بن العربي المعافري الإشبيلي (ت ٥٤٣ هـ)، تعليق: د. عبدالله التوراتي، دار التحديث الكتانية (طنجة – المغرب، بيروت – لبنان)، ط١، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق :إ براهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر،ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن، للإمام الكبير شرف الدين الحسين الطيبي(ت:٧٤٣هـ)، تحقيق ودراسة عبدالحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- شرح الكلنبوي في علم المنطق على متن إيساغوجي، تحقيق جاد الله بسام صالح، ط١، دار النور المبين، عمان، الأردن، ٢٠١٦م.
- شعب الإيمان، أبو بكر بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
- صحيح الإمام مسلم شرح الإمام النووي، مؤسسة قرطبة، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- الصورة الفنية فى شعر امرىء القيس ومقوماتها اللغوية والنفسية والجمالية، سعد أحمد الحاوى، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض المملكة العربية السعودية، ط١،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت ٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية – بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.
- ظاهرة التضاد في سورة الأعراف وأثرها في إيصال المعنى، هادي حسن محمد، مركز دراسات الكوفة، العدد الحادي والثلاثون، ٢٠١٣م.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح بهاء الدين السبكي ضمن شروح التلخيص، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر.
- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني،أ.د/بسيوني فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين بن أحمد العيني (ت: ٨٥٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر- بيروت.
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تعليق: محمد فؤادعبدالباقي، المكتبة السلفية.
- القاموس المحيط للفيروز آبادي، ط١، دار الكتب العلمية.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، تعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة ، بيروت-لبنان،ط٣،١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- لسان العرب لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي الغربي، بيروت الدار البيضاء، ط١/١٩٩١م.
- مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ضمن شروح التلخيص، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر.
- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدر العربية ناشرون.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل(١٦٤ــ-٢٤١هــ) تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط الرسالة.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.أحمد مطلوب،الدار العربية للموسوعات، بيروت-لبنان، ط١،١٤٢٧هــ-٢٠٠٦م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هــ-١٩٧٩م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هــ-٢٠٠٤م.
- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت ٦٢٦هــ)، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٧ هــ - ١٩٨٧م.
- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هــ)، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥ هــ - ٢٠٠٤ م.
- من بلاغة النظم القرآني دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم، د.بسيوني عبدالفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١،١٤٣١هــ-٢٠١٠م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ت: محمد الحبيب بن الخوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣/١٩٨٦م.

- المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث.
- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١.
- وحي الرسالة، أحمد حسن الزيات، ط دار الثقافة.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	ملخص البحث
٢	المقدمة
٣	التمهيد:تحرير القول في الاتساق والترابط بين المعاني
٤	المبحث الأول: علاقة التدرج والتتابع في عرض المعاني
٥	المبحث الثاني:علاقة اللزوم بين المعاني
٦	الخاتمة
٧	المصادر والمراجع
٨	فهرس الموضوعات